

عمدة الصابرين وأنيس المبتلين

دوقفات مع الصبر والابتلاء في حياة الأنبياء
والصالحين

تأليف:

الدكتور/ إبراهيم محمد أبو اليزيد خفاجة

أستاذ اللغة العربية وآدابها المساعد

٢٠٢٠م

-

١٤٤١هـ

طبعة خاصة بالمؤلف

فهرس المحتويات

المحتوى.....	الصفحة.....
الوقفه الأولى: الصبر.....	٩.....
تعريف الصبر:	
.....	١٠.....
الباعث على الصبر:	١١.....
أنواع الصبر:	١٢.....
أقسام الصبر وأمئلته:	٢٠.....
فوائد الصبر وثماره:	٣١.....
الإعجاز العلمي في الصبر:	٣٤.....
الأمر المعينة على الصبر:	٣٦.....
الأمر المعيقة عن الصبر:	٤٢.....
حكاياء عن الصابرين:	٤٥.....
الوقفه الثانية: الابتلاء:	٥٨.....
أنواع الابتلاء:	٦٢.....
أسباب الابتلاء:	٦٣.....
الأسباب المعينة على تحمل الابتلاء:	٦٥.....
أحوال الناس عند الابتلاء:	٧١.....
الابتلاء دروس وعبر:	٧٨.....
الأسباب المعينة على رفع البلاء:	٨١.....
وقفاء مع أهل الابتلاء:	٨٤.....
الخاتمة:	٨٧.....

المراجع: ٨٩

يجري القضاء وفيه الفير نافلة
لمؤمن واثق بالله لا لا مغي

إن جاءه فرج أو نابه تـرج
فج العالتين يقوله الحمد لله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، فإنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ويده الأمر، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحببيه، ورحمته للإنس والجن أجمعين، فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى من اتبع هداه إلى يوم الدين، صلاة ترضى بما عنا، وتبلغنا بها شفاعة، وتحشرنا يوم القيامة في زمرة.

ثم أما بعد:

فإن الحياة الدنيا لا تصفو لأحد، والدنيا طالت أو قصرت لا تخلو من المنغصات والأكدار، فكلما حلت أوحلت، وكلما كست أوكست، والأيام دول؛ رخاء وشدّة، يسر وعسر، عافية ومرض، غنى وفقر، ضعف وقوة.

والدنيا من يوم خلقها الله تعالى دار ابتلاء، ودار فناء فكل ما فيها زائل، وكل ما عليها إلى بوار إلا تقوى الله تعالى، والعمل الصالح.

والإنسان في هذه الحياة الدنيا بين أمرين إما أن يصبر على ما فيها من بلاء وكدر ويرضى بما قسمه الله له، وإما أن يجزع ويسخط، فمن رضى له الرضى، ومن سخط فله السخط.

والصبر من أعظم خصال الخير التي حث عليها الله تعالى في كتابه العظيم، وأمر بها رسوله الكريم (ﷺ) في سنته الشريفة، وطبقها (ﷺ) قولاً وفعلاً، وعمل بها صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد ورد ذكر الصبر في مائة وأربعة موضع في القرآن الكريم^(١)، فقد أمر الله تعالى نبيه بالصبر فقال: (واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)^(٢). وأمر الله به عباده المؤمنين فقال: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)^(٣). وأثنى عز وجل على الصابرين فقال: (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)^(٤). وأخبرنا بمحبته للصابرين ومعيته لأهل الصبر فقال: (والله يحب الصابرين)^(٥). وقال: (واصبروا إن الله مع الصابرين)^(٦). كما أخبر عز وجل عباده أن الصبر خير لأصحابه من الانتقام فقال تعالى: (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)^(٧). ووعد عز وجل الصابرين بالجزاء الجزيل والخير الوفير، وبشرهم بالنعيم المقيم فقال تعالى: (ولنجزين الذين صبروا بأحسن ما كانوا يعملون)^(٨). وقال: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)^(٩).

(١) انظر مقدمة: قاعدة في الصبر لابن تيمية، تحقيق الدكتور: محمد بن خليفة التميمي.

(٢) سورة الأحقاف الآية: (٣٥).

(٣) سورة آل عمران الآية: (٢٠٠).

(٤) سورة البقرة الآية: (١٧٧).

(٥) سورة آل عمران الآية: (١٤٦).

(٦) سورة الأنفال الآية: (٤٦).

(٧) سورة النحل الآية: (١٢٦).

(٨) سورة النحل الآية: (٩٦).

(٩) سورة الزمر الآية: (١٠).

وقال: (وبشر الصابرين) (١).

وقال: (وجزاهم بما صبروا جنة حريرا) (٢).

وقرن الله الصبر بالقيم العليا في الإسلام، فقرنه باليقين فقال: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (٣).

وقرنه بالتوكل، فقال: (نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (٤).

وقرنه بالصلاة فقال: (واستعينوا بالصبر والصلاة) (٥).

وقرنه بالتقوى فقال: (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (٦).

وقال: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) (٧).

وقال: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (٨).

وقرنه بالعمل الصالح فقال: (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) (٩).

(١) سورة البقرة الآية: (١٥٥).

(٢) سورة الإنسان الآية: (١٢).

(٣) سورة السجدة الآية: (٢٤).

(٤) سورة العنكبوت الآيات: (٥٨، ٥٩).

(٥) سورة البقرة الآية: (١٥٣).

(٦) سورة آل عمران الآية: (١٨٦).

(٧) سورة آل عمران الآية: (٩٦).

(٨) سورة يوسف الآية: (٩٠).

(٩) سورة هود الآية: (١١).

وقرنه بالجهاد فقال: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (١).

وقال: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين) (٢).

وقرنه بالاستغفار، فقال: (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسيح بمحمد ربك بالعشي والإبكار) (٣).

وقرنه بالتسبيح فقال: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسيح بمحمد ربك حين تقوم) (٤).

وقال: (فاصبر على ما يقولون وسيح بمحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) (٥).

وقرنه بالحق، فقال: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٦).

وقرنه بالرحمة، فقال: (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) (٧).

وقرنه بالشكر، فقال: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) (٨).

(١) سورة النحل الآية: (١١٠).

(٢) سورة محمد الآية: (٣١).

(٣) سورة الآية: ().

(٤) سورة الطور الآية: (٤٨).

(٥) سورة طه الآية: (١٣٠).

(٦) سورة العصر الآيات (١-٣).

(٧) سورة البلد الآية: (١٧).

(٨) سورة إبراهيم الآية: (٥).

من هنا يتبين لنا أن الصبر من خير الأخلاق التي يتحلى بها المؤمن، وأنه مطية النصر، ونصف الإيمان، وهو أنصر لصاحبه من الرجال، وأرفع لشأنه من العتاد والمال.

ومنا هنا كانت فكرة هذا الكتاب الذي اخترنا له عنوان الصبر والابتلاء حاولنا فيه رصد كل ما يتعلق بالصبر وأنواعه وثمراته وفوائده والأسباب المعينة عليه والمعيقة له، والابتلاء وما فيه من فوائد عاجلة وآجلة، وأقوال العلماء والحكماء فيهما، مع ذكر نماذج من الصبر والابتلاء للأنبياء والصالحين لتكون لنا نبراسا ينير لنا الطريق ويأخذ بأيدينا على خطى الصالحين ودرج الأنبياء الصابرين.

راجين من الله عز وجل أن ينفع به أهل المصاب والبلوى، ويعين به الصابرين على الشكر والتقوى، وأن يجعله يوم القيامة في ميزان الحسنات، وأن يجعله من الأعمال الصالحة التي تبقى لنا بعد الممات، ويعفو عما وقعنا فيه من زلات، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

أبو يوسف إبراهيم محمد خفاجة

الوقفه الأوله

الصابر

تعريف الصبر

*-الصبر لغة^(١):

الحبس والكف، قال الله تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون
رهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ...)^(٢)، أي: احبس نفسك
معهم، والزمهم.

*-والصبر اصطلاحاً^(٣):

يعرف بأنه حبس النفس على فعل شيء أو تركه، ابتغاء وجه الله
تعالى، وهم من مدحهم الله تعالى في كتابه فقال: (والذين صبروا ابتغاء وجه
ربهم وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدروون بالحسنة
السيئة، أولئك لهم عقي الدار)^(٤).

والصبر نصف الإيمان كما ورد عن بعض السلف، أن الإيمان نصفان:
نصف صبر، ونصف شكر.

ونظراً لأهميته في حياة المؤمن اعتبر من خير الأخلاق التي يجب عليه
التحلي بها، فأمر به الله تعالى في كتابه، وأوصى به النبي (ﷺ) أتباعه، وكتب عنه
علماء الأمة كتباً، وألّفوا فيه مؤلفات، منهم الإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم،
وأصحاب السنن والسير، وغيرهم، كما عقد علماء الحديث له فصولاً وأبواباً
كاملة في كتب السنة جمعوا فيها كل ما يتعلق بالصبر والصابرين.

(١) موقع ملتقى الحوار العربي بتاريخ: ٢٠٠٦/٥/٠١ م.

(٢) سورة الكهف الآية: (٢٨).

(٣) انظر: موقع ملتقى الحوار العربي السابق.

(٤) سورة الرعد الآية: (٢٢).

الباعث على الصبر

الباعث على الصبر هو ابتغاء وجه الله تعالى التماسا للأجر والثواب، وهو الصبر المحمود، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يكون صبره لله فقال: (ولربك فاصبر)^(١)، ومدح عباده الصابرين الذين من أوصافهم أنهم صبروا ابتغاء وجه ربهم فقال: (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية)^(٢).

ووعدهم بالجنة والنعيم المقيم فقال: (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا)^(٣).

كما وعدهم سبحانه وتعالى بالمغفرة والأجر العظيم فقال: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)^(٤).

(١) سورة المدثر الآية: (٧).

(٢) سورة الرعد الآية: (٢٢).

(٣) سورة الإنسان الآية: (١٢).

(٤) سورة الأحزاب الآية: (٣٥).

أنواع الصبر

للصبر أنواع عديدة، فوائد كثيرة، فقد قسمه الإمام أحمد بن تيمية في قاعدته عن الصبر والشكر إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي:

*-أولاً: الصبر على الطاعة:

ويقصد به حبس النفس وتعويدها على أداء الطاعات التماساً للأجر والثواب، حيث قال: " إن العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلا بعد صبر ومثابرة ومجاهدة لعدوه الباطن والظاهر، فبحسب هذا الصبر يكون أدائه للمأمورات وفعله للمستحبات" (١).

*-ثانياً: الصبر عن المعصية:

ويقصد به حبس النفس وإجبارها على ترك المعاصي واجتناب المحظورات والمنهيات، ومحاربة هوى النفس ومكائد الشيطان، وقرناء السوء، حيث أن النفس ودواعيها، وتزيين الشيطان وقرناء السوء كلها تأمر الإنسان بالمعصية وتجريه عليها، وبحسب قوة صبره يكون تركه لها، وقد روي عن بعض السلف أنه قال: أعمال البر يعملها البر والفاجر، ولا يقدر على ترك المعاصي إلا صديق" (٢).

*- الأسباب المعينة على الصبر عن المعصية (٣):

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى بعض الأسباب المعينة على الصبر عن المعصية بذكرها فيما يلي:

(١) انظر: قاعدة في الصبر والشكر، لابن تيمية.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: كتاب طريق المهجرتين، وكتاب: عدة الصابرين، لابن القيم الجوزية.

- (١)-علم العبد بقبحها وردالتها ودناءتها.
- (٢)-حياء العبد من الله تعالى.
- (٣)-مراعاة العبد نعمة الله تعالى عليه وإحسانه إليه.
- (٤)-خشية العبد لله تعالى وخوفه من عذابه.
- (٥)-محبة العبد لربه تبارك وتعالى.
- (٦)-زكاء نفس العبد وشرفها.
- (٧)-قوة علم العبد بسوء العاقبة، وقبح أثرها.
- (٨)-قصر أمل العبد، وعلمه بسرعة انتقاله من الدنيا.
- (٩)-مجانبة العبد لفضول العيش من مأكّل ومشرب وملبس، ومخالطة.
- (١٠)-ثبات شجرة الإيمان في قلب العبد.

*-ثالثا: الصبر على البلاء:

ويقصد به حمل النفس على الرضى بالقضاء إذا نزل، والشكر في حال المصاب، والحلم والعفو عن المسيء في حال المقدرة، والمصائب التي تصيب الإنسان نوعان:

*-النوع الأول: نوع لا اختيار للعبد فيه:

ومن أمثلته: الأمراض والكوارث الطبيعية ونحو ذلك، وهذا النوع من المصاب يكون الصبر فيها هينا؛ لأن المصاب يستشعر فيها عظمة الله وقدرته، ويشهد فيها بقضائه وقدره، ويعلم أنه لا مدخل للناس فيها، ويكون صبره فيها إما اضطرارا وإما اختيارا، فإن صبر اختيارا وشكر أحسن الله له العاقبة، وأثابه على صبره، وكافأه على شكره.

*-النوع الثاني: ما يحصل للعبد بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه:

وهذا النوع يصعب عليه الصبر جدا، لأن النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، ولا يصب على هذا النوع من المصاب إلا الأنبياء والصديقون^(١).

وهذا النوع من الصبر وهو الصبر على أذى الناس عاقبته النصر والعز والسرور الأمن والقوة في ذات الله تعالى، وزيادة محبة الله للعبد، ومحبة الناس له، وزيادة العلم، فقد قال الله تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون لأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)^(٢)، وقال: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)^(٣)، فالصبر واليقين ينال العبد الإمامة في الدين، ويترقى في المراتب والدرجات حتى يصل إلى منزلة الأنبياء والصديقين^(٤).

ومع أن هذا النوع من الصبر وهو الصبر على أذى الناس من أشد أنواع الصبر على النفس وأصعبها عليها فإنه من خيرها وأفضلها.
* - الأسباب التي تعين على الصبر عن أذى الناس^(٥):

١- أن يشهد العبد أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد وحركاتهم وسكناتهم، وإراداتهم، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن لا يتحرك في العالم ذرة إلا بعلمه ومن بعد إذنه ومشيتته، وأن العباد آله، تفعل ما شاء الله،

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) سورة السجدة الآية: (٢٤).

(٣) سورة فصلت الآيات: (٣٤، ٣٥).

(٤) انظر: قاعدة في الصبر لابن تيمية بتصرف.

(٥) انظر: قاعدة في الصبر والشكر لابن تيمية بتصرف.

فينظر إلى العبد إلى الذي سلطهم عليه، ولا ينظر على فعلهم به، فعند ذلك يستريح من الهم والغم والحزن.

٢- أن يشهد العبد ذنوبه، ويعلم أن الله تعالى سلط عليه بعض الناس بسبب ذنبه، قال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)^(١)، فإذا شهد العبد أن جميع ما يناله من المكروه بسبب ذنوبه اشتغل بالتوبة والاستغفار من ذنوبه عن ذم من آذوه ولومهم والوقيعه فيهم، فقد قال على بن أبي طالب عليه السلام: " لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه"^(٢)، وروي عن بعض السلف أنه قال: " ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة"^(٣).

٣- أن يتذكر العبد حسن الثواب الذي أعده الله تعالى له لمن عفا وصبر، فقد قال الله تعالى: (وجزاء سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه يحب الظالمين)^(٤)، وعليه أن يعلم أن الانتقام يفوت عليه أجر العفو والترك، ويتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا ليقيم من كان له على الله أجره، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا، وذلك قوله: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)"^(٥). فعند ذلك يسهل عليه الصبر.

٤- أن يوقن العبد أنه إذا عفا وأحسن فإن ذلك يورثه سلامة في القلب ونقاء من الغل والغش وطلب الانتقام وإرادة الشر، ويحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلا وأجلا على المنفعة الحاصلة له بالانتقام أضعافا مضاعفة،

(١) سورة الشورى الآية: (٣٠).

(٢) الترغيب والترهيب للأصفهاني: ٦٦٢/٢.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر: ٤٩٧/٢.

(٤) سورة الشورى الآية: (٤٠).

(٥) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

ويدخل تحت قوله تعالى: (والله يحب المحسنين)^(١)، ويصير محبوباً لله، ويصير حاله كحال من أخذ منه دراهم معدودة فعوض عنها دنائير كثيرة، فيفرح بما من الله عليه أعظم فرح.

٥- أن يعلم العبد أنه ما انتقم أحد لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً في نفسه، وأنه إذا عفا وأصلح أعزه الله تعالى، فقد قال رسول الله (ﷺ): " ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً"^(٢)، فالعز الذي يحصل بالعفو أحب إليه وأنفع من العز الحاصل بالانتقام، فالعز بالانتقام عز في الظاهر ولكنه يورث في الباطن ذلاً، أما العز الحاصل بالعفو فهو ذل في الظاهر، ولكنه يورث العز في الباطن والظاهر.

٦- أن يعلم العبد أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالم ومدنّب، وأن من عفا عن الناس عفا الله عنه، ومن غفر الله له، فإذا علم أن عفوه عنهم وصفحه وإحسانه لهم مع إساءتهم إليه سبب لأن يجزيه الله كذلك من جنس عمله فيعفو عنه ويصفح ويحسن إليه، وعند ذلك يسهل عليه الصبر والعفو.

٧- أن يعلم العبد أنه إذا شغل نفسه بالانتقام ضاع عليه زمانه، وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه ما لا يمكن استدراكه، بل قد يكون في ذلك من المصائب أعظم مما ناله ممن أساء إليه من الناس، فإذا عفا وصفح فرغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي عنده أهم من الانتقام.

٨- أن يعلم العبد أنه في تركه للانتقام والثأر للنفس يقتدي بخير خلق الله وخاتم النبيين (ﷺ)، فقد ثبت عنه أنه لم ينتقم لنفسه قط مع كثرة الأذى الذي تعرض له، بل كان يعفوا ويصفح، خير دليل على ذلك ما فعله مع قومه في يوم فتح مكة حيث قال لهم: " اذهبوا فأنتم الطلقاء".

(١) سورة البقرة الآية: (١٩٥).

(٢) نظر: موسوعة الحديث النبوي الشريف، أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠/٨.

٩- أن يعلم العبد أنه إذا صبر وعفا فإنما أجره على الله تعالى، وخاصة إذا كان ما أصابه بسبب أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو إصلاح بين الناس، أو في سبيل نشر الدعوة، وتحقيق العدل.

١٠- أن يستشعر العبد معية الله تعالى له إذا صبر ومحبة الله له، فقد قال الله تعالى: (واصبروا إن الله مع الصابرين)^(١)، وقال: (والله يحب الصابرين)^(٢).

١١- أن يعلم العبد أن الصبر نصف الإيمان، وأنه عليه أن يحفظ إيمانه كاملاً، وأنه إذا صبر على الأذى والضر الذي أصابه فقد صان إيمانه من النقص.

١٢- أن يعلم العبد أن صبره حكم منه على نفسه، وقهر لها وغلبة لهواه، وأنه متى كانت النفس مغلوبة مقهورة لا يمكنها استرقاق صاحبها وأسرته وإلقائه في المهالك، وأنه متى كان مطيعاً لها سامعاً منها، مقهوراً معها أوردته المهالك لولا أن تداركه رحمة من ربه.

١٣- أن يعلم العبد أنه في تركه الانتقام لنفسه، والصبر على الأذى وتفويض الأمر لله تعالى أن الله تعالى ناصره ومعينه.

١٤- أن يعلم العبد أن صبره على من آذاه واحتماله له يوجب رجوع خصمه عن ظلمه وندمه واعتذاره على ما بدر منه من إساءة، فيعود مستحيياً منه نادماً على ما ارتكبه في حقه، وتتحول عداوته إلى محبة وموالاتة ونصرة قال الله تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، ما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)^(٣).

(١) سورة الأنفال الآية: (٤٦).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٤٦).

(٣) سورة فصلت الآيات: (٣٤، ٣٥).

١٥- أن يعلم العبد أن في انتقامه لنفسه وعدم الصبر على أذى خصمه قد يكون سببا في زيادة شر خصمه، وأنه إذا صبر فقد وقى نفسه من هذا الأذى، فكم جلب الانتقام من شر عجز صاحبه عن دفعه، وكم أذهب نفوس ورياسات وأموال وممالك، لو عفا المظلوم لبقيت عليه.

١٦- أن يعلم العبد أن من اعتاد الانتقام لنفسه لا بد أن يقع في الظلم، والخروج عن قدر العدل والحق، والمرء حين يغضب يكون في حالة لا يعقل معها ما يقول وما يفعل، فيتحول من مظلوم ينتظر النصر إلى ظالم ينتظر العقوبة.

١٧- أن يعلم العبد أن ما أصابه من أذى وضر قد تكون سببا ليكفر الله بها عن سيئاته، ويرفع بها درجاته، فإذا انتقم لنفسه ولم يصبر حرم نفسه من هذا الخير الكثير.

١٨- أن يعلم العبد أن الصبر على أذى الخصوم من خير الجنود المناصرين له، وأن صبره موجب لذل عدوه وهوانه على الناس، وبغضهم له.

١٩- أن يعلم العبد انه إذا صبر على خصمه وعفا عنه استشعرت نفس الخصم أنه فوقه، ويرى نفسه دونه، وكفى بهذا شرفا.

٢٠- أن يعلم العبد أن الصبر والعفو سببا لتزايد الحسنات، ومحو السيئات، فيكون من الفائزين في الدنيا والآخرة. (انتهى ملخصا).

وقسم أحد الباحثين الصبر إلى قسمين بدني، ونفسي، وفرع من كل قسم قسمين آخرين وهما: اختياري، واضطراري.

-ومن أمثلة البدني الاختياري: الصبر على تعاطي الأعمال الشاقة.

- ومن أمثلة البدن الاضطراري: الصبر على ألم الضرب.

-ومن أمثلة النفسي الاختياري: الصبر عن فعل ما لا يحسن فعله شرعا وعقلا.

- ومن أمثلة النفسي الاضطرابي: الصبر على فراق المحبوب وفقدانه^(١).
والصبر الاختياري أكمل من الصبر الاضطرابي، وبه تتفاضل النفوس
وتسمو الهمم وتبلغ أعلى الدرجات وأرفع المنازل، والصبر المتعلق بالتكليف وهو
إما صبر على الطاعة أو صبر عن المعصية أفضل من الصبر على القدر، لأن
الصبر على القدر يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر إما اضطراراً وإما اختياراً،
أما الصبر على الأوامر والنواهي فهو صبر أتباع الرسل، والأوابين من البشر.
كما أن الصبر على الأوامر أفضل من الصبر عن النواهي، لأن فعل
المأمور أحب إلى الله تعالى من ترك المحظور^(٢).

(١) انظر: موقع ملتقى الحوار العربي بتاريخ ٢٠٠٦/٠٥/٠١ م.

(٢) انظر: الموقع السابق.

أقسام الصبر وأمثله

ويمكننا أن نقسم الصبر إلى عدة أقسام على النحو التالي:

١- الصبر على بلاء الدنيا: ومنه ما يلي:

(أ)- الصبر على أذى الناس: ومن أمثله:

*- الصبر على الزوجة:

أمر الله تعالى بحسن معاشررة الزوجة والإحسان إليها والصبر على أذاها فقال تعالى: (وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)^(١).

وقال رسول الله (ﷺ): " لا يفرك مؤمن مؤمنة عسى أن يكره منها خلقاً فيرضيه آخر "^(٢).

فالصبر على أذى الزوجة من مكارم الأخلاق التي أمر بها الإسلام وخاصة إذا كانت سليطة اللسان سيئة العشرة، حتى لا تهدم الأسرة المسلمة ويتقوض بنياؤها.

وقد أخبرنا رسول الله (ﷺ) أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وأن أعوج ما في الضلع أعلاه، وأنه إذا حاولنا إصلاحه كسرناه، ولذا أوصانا (ﷺ) بأن نستمتع بمن على عوجهن.

كما أخبرنا (ﷺ) بطبيعة النساء، وأنهن يكثرن اللعن، ويكفرن العشير، لذا كن أكثر أهل النار^(٣).

(١) سورة النساء الآية: (١٩).

(٢) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٣) انظر الأحاديث الدالة على ذلك في: موسوعة الحديث النبوي الشريف.

*-الصبر على أذى الجار:

وقد ضرب الرسول (ﷺ) أروع المثل في الصبر على أذى الجار واحتماله والإحسان إليه مع إساءته، وأخبر أصحابه بحقوق الجار وأوصى به خيرا، فكان مما قال: " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" (١). وقال: " والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه" (٢).

بل إنه (ﷺ) جعل الإحسان إلى الجار شرطا من شروط الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، فقال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" (٣).

*-الصبر على أذى الصديق:

الصبر على أذى الصديق يعد من مكارم الأخلاق وخاصة إذا كان هذا الصديق من الأصدقاء المقربين، والتماس الأعداء لهم من الأمور التي أمرنا بها الإسلام.

*-الصبر على أذى الحاكم:

من الأمور التي حث عليها الإسلام الصبر على أذى الحاكم ولو كان ظلما، فطاعة الإمام واجبة، والخروج عليه معصية ما لم يخالف حدا من حدود الله، أو كان في الخروج عليه ضرر أكبر بكثير على النفس والمال والعرض، فقد

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

قال الله تعالى: (وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) ^(١)، وقال رسول الله (ﷺ): "إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فاسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي" ^(٢).

ومن القواعد المهمة التي أرساها الإسلام قاعدتين مهمتين: الأولى تقول: "لا ضرر ولا ضرار"، والقاعدة الثانية تقول: "درء المفاسد أولى من جلب المصالح".

(ب)- الصبر على أقدار الله المؤلمة: ومن أمثلته ما يلي:

* - الصبر على الفقر:

يجب على كل إنسان أن يعلم أن الرزق بيد اله سبحانه وتعالى، يبسطه لم يشاء، ويقدره لمن يشاء، قال الله تعالى: (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ^(٣).

وليعلم المؤمن أن الغنى الحقيقي ليس غنى المال بل غنى النفس، وأن المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وأنه ملك لله تعالى يورثه من يشاء من عباده، وأن الأنبياء خير خلق الله وصفوته من عباده لم يورثوا دينارا ولا درهما كما أخبرنا الحبيب محمد (ﷺ)، وأن النبي محمد (ﷺ) دعا ربه أن يحيه مسكينا ويمته مسكينا وأن يحشره مع زمرة المساكين.

(١) سورة النساء الآية: (٥٩).

(٢) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٣) سورة الرعد الآية: (٢٦).

*-الصبر على المرض:

الصحة والمرض من الأمور التي يقدرها الله تعالى لعباده، فمن ابتلاه الله تعالى بالمرض فعليه الصبر على هذا البلاء، وليعلم أن المرض مكفر للذنوب، وأن الله تعالى يبتلي به عبده المؤمن ليحط به خطاياهم ويرفع به درجاته حتى يقابل الله عز وجل وليس عليه شيء.

*-الصبر على فقدان الأحبة (الموت):

يقول الله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت)^(١)، وقد سمى الله تعالى الموت في كتابه مصيبة، فقال: (وأصابتكم مصيبة الموت)^(٢)، بل إن الموت من أعظم المصائب التي تصيب الإنسان، لذا أمر الله عبادة بالصبر عن المصاب وبشر الصابرين ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، والرحمة والهدى فقال: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليه صلوات من ربهم ورحمة وألئك هم المهتدون)^(٣).

وقد ضرب الرسول وصحابته الكرام خير مثل في ذلك فقد توفي ابنه إبراهيم فدمعت عيناه، وقال: "هذه رحمة يرحم بها الله من يشاء من عباده"، وقال: "إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.." ^(٤).

وهذه الخنساء شاعرة العرب المشهورة، والتي قالت في رثاء أخيها صخر قصيدة تناقلتها العرب إلى يومنا هذا، عندما دخلت الإسلام استشهاد

(١) سورة آل عمران الآية: (١٨٥).

(٢) سورة المائدة الآية: (١٠٦).

(٣) سورة البقرة الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٤) انظر: موسوعة الحديث النبوي الشريف، وانظر: زاد المعاد لابن القيم.

أربعة من أبنائها في معركة أحد، فلم تقل بيتا واحدا من الشعر ، وإنما قالت:
"الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله، واسترجعت"^(١).

وقصة المرأة الصحابية التي توفي ولدها فلم تجزع وتزينت لزوجها حتى
أتاها، ثم أخبرته نبأ ولدها وما دار بينهما، ودعاء الرسول لهما بعدما قضا له
قصتهما، قصة معروفة ومشهورة.

*-الصبر على الكوارث التي يحدثها الله في الطبيعة:

ليعلم العبد أنه خلق من خلق الله، وأنه تجري عليه أقدار الله عز وجل،
وأن كل ما في الكون يسير ويقدر بأمر الله تعالى، فالكون كله بكل ما فيه من
مخلوقات وما يعتريه من تغيرات وتبديلات إنما هي بأمر الله تعالى ودليل على
قدرته تبارك وتعالى.

فالكوارث التي تحدث في الطبيعة كالزلازل والبراكين والفيضانات
والأعاصير، والانهيارات الأرضية والجليدية، والحرائق الطبيعية وموجات الحر
الشديد، والبرد القارس، والأوبئة، والكسوف، والخسوف، والمد والجزر، وغير
ذلك من الأحداث الكونية، إنما تحدث كلها بعلم الله تعالى وقدره وبمشيئته
لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

ولذا يجب على الإنسان أن يصبر على هذه الابتلاءات لأنها من قدر
الله عز وجل، ولا يملك كشف هذا الضر إلا هو سبحانه وتعالى.

*-الصبر حين البأس (ملاقاة العدو):

الصبر عند لقاء العدو من الأمور التي حث عليها الإسلام وأوجبها
وجعلها شرطا للنصر على العدو، وجعل الفرار أمام العدو ساعة اللقاء كبيرة من
الكبائر، بل إن الله تعالى مدح الصابرين في ساعة القتال فقال: (والصابرين في

(١) انظر: كتاب نساء الصحابة.

البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون^(١)، بل إنه سبحانه وتعالى أرشد عباده إلى أهمية الصبر عند نزال العدو فقال: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا وادكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)^(٢). كما أرشدهم إلى ضرورة الصبر عندما تشتد المعركة، ويحمر الوطيس، فقال: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)^(٣)، ومدح الصابرين في القتال مع الأنبياء فقال: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)^(٤).

وجعل الله تعالى النصر حليف الصابرين الذين يدركون قيمة الصبر عندما تحلو به، ودعوا الله تعالى أنت يفرغ عليهم صبرا، فقال عن الفئة المؤمنة التي صحبت طالوت: (فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده، فشربوا منه إلا قليلا منه، فلما جاوز هو الذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، والله مع الصابرين* ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين* فهزمهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الحكمة وعلمه مما يشاء...)^(٥).

(١) سورة البقرة الآية: (١٧٧).

(٢) سورة الأنفال الآيات: (٤٥-٤٦).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٤٢).

(٤) سورة آل عمران الآية: (١٤٦).

(٥) سورة البقرة الآيات: (٢٤٩-٢٥١).

٢- الصبر علی طاعة الله تعالى:

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وجعل له عينين ولسانا وشفقتين، وأنعم عليه بكثير من النعم الظاهرة والباطنة، وكفل له الرزق، وذلل له الوجود وسخره لخدمته حتى يتفرغ لعبادته سبحانه وحده لا شريك له، ونفس الإنسان تغويه والشيطان يضلّه، والأهواء تتنازعه، ولكن الله تعالى خيره بين طريق الهداية وطريق الغواية، وجعل له حرية الاختيار بين الطريقتين، وأبان له عاقبة كل طريق منهما حتى لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة فقال الله تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّاهها وقد خاب من دساها)^(١).

و الصبر على طاعة الله تعالى يعد من أعظم مجالات الصبر وأشدّها على النفوس، وقد أمر الله تعالى بالصبر على الطاعة في أكثر من موضع في كتابه الكريم، وشدد على ذلك فقال تعالى: (رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته..)^(٢)، وقال: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، لا نسألك رزقا نحن نرزقك ، والعاقبة للمتقوى)^(٣).

*-أحوال الصبر على الطاعة:

والصبر على الطاعة له ثلاثة أحوال:

١- قبل الطاعة:

(١) سورة الشمس الآيات: (٧-١٠).

(٢) سورة مريم الآية: (٦٥).

(٣) سورة طه الآية: (١٣٢).

ويكون بتصحيح النية، والتخلص من شوائب الشرك والرياء، وعقد العزم على الوفاء، ومنه يتضح لنا سر تقديم الصبر على العمل الصالح في قوله تعالى: (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) (١).

٢- حال الطاعة:

ويكون بعدم الغفلة فيها، أو التكاثر في أدائها، أو التقصير في حقوقها وواجباتها وسننها، وهم ما يفهم من قوله تعالى: (نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى رهم يتوكلون) (٢).

٣- بعد الطاعة:

ويكون بالمحافظة عليها، والدعاء بالقبول، واستقلالها، والإكثار منها، وترك ما يبطلها من قول أو عمل.

ومن أمثلة الصبر على الطاعة ما يلي:

***- الصبر على أداء العبادات:**

وذلك بأداء الفروض والطاعات من صلاة وصيام وزكاة وحج والمحافظة عليها، والإخلاص فيها، وحسن أدائها.

***- الصبر على النعم التي أنعم الله بها علينا (السراء):**

كالأموال، والأولاد، والعافية، بشكر الله عليها وأداء حقه فيها، وقد قيل البلاء يصبر عليه المؤمن، والعافية لا يصبر عليه إلا صديق، وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر".

***- الصبر على تحمل مشاق الدعوة إلى الله:**

(١) سورة هود الآية: (١١).

(٢) سورة العنكبوت الآيات: (٥٨-٥٩).

فقد أجمع أنبياء الله تعالى على رد أذى أقوامهم والمخالفين لهم بالصبر، وضربوا أروع المثل في ذلك، فهاهو نوح عليه السلام يدعوا قومه ليلا ونهارا، مدة ألف سنة إلا خمسين عاما، ولم ييأس ولم يفتر رغم إعراض قومه عنه، وقد صبر الله تعالى نبيه بتذكيره بما تعرض له الأنبياء السابقون فقال تعالى: (ولقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا، وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) ^(١). وقال تعالى: (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) ^(٢).

كما أمر سبحانه الدعوة بالتحلي بالصبر على مشاق الدعوة فقال: (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) ^(٣).

***-الصبر على مر التعلم:**

من الأمور التي يجب الصبر فيها التعلم، حيث يحتاج المتعلم إلى صبر لمطالعة الدروس، وسؤال العلماء ومجالستهم، وتحمل مشاق السفر في طلب العلم، ونفقاته. وقد بما قالوا: " من لم يذق ذل التعلم يوما ظل طول الدهر يتجرع مرارة الجهل".

وقد ضرب السلف الصالح خير الأمثلة على ذلك، حيث كان الواحد منهم يرتحل في طلب العلم سنوات طويلة، ويسافر من مكان إلى مكان رغم قسوة ظروف الزمان والمكان، وقلة المؤونة.

(١) سورة الأنعام الآية: (٣٤).

(٢) سورة المزمل الآية: (١٠).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٨٦).

كما يحتاج المعلم إلى صبر على تعليم الطلاب، وتربيتهم، ومخاطبة كل واحد منهم حسب مستواه وقدراته، فالعلماء ورثة الأنبياء.

*- الصبر على أداء العمل:

يحتاج العمل كذلك إلى صبر على أدائه، وقد مدح الله تعالى العاملين الصابرين فقال: (نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى رهم يتوكلون)^(١).

*- الصبر في معاملة الناس:

كالوالدين، والإخوان، والزوجة، والأبناء، والأقارب، والجيران، والأصدقاء، والزملاء، والناس أجمعين.

٣- الصبر عن المعصية: ومن أمثلته ما يلي:

*- الصبر عن الشهوات:

على الإنسان أن يصبر عن شهواته ونزواته، وخاصة شهوتي البطن والفرج، فالذي لا يتحكم في شهواته وغرائزه تكون البهائم خيرا منه، وقد قال أحد الحكماء: "من غلبت شهوته عقله كانت البهائم خيرا منه، ومن غلب عقله شهوته كان خيرا من الملائكة".

*- الصبر عن اتباع هوى النفس ووساوس الشيطان:

من ألد أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه، لذا وجب على المؤمن أن يحذر نفسه ولا يغتر بها، وأن يكون دائم اللوم والتقريع لها متهما لها بالتقصير والتفريط، حتى يستطيع كبح جماحها، والتغلب على أهوائها ونوازعها، والنفس اللوامة مدحها الله تعالى وشرفها فقال: (لا أقسم بيوم القيامة* ولا أقسم بالنفس اللوامة)^(٢).

(١) سورة العنكبوت الآيات: (٥٨، ٥٩).

(٢) سورة القيامة الآيات: (١، ٢).

كما عليه أن يحذر الشيطان -لعنه الله- الذي توعدده بأن يقعد له بكل صراط يغويه ويضله، ويفسد عبادته، ويزين له المعصية، حتى إذا وقع فيها تبرأ منه، قال تعالى: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) (١).

وليعلم المؤمن أن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم من العروق، كما أخبرنا الهادي مُجَدِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وليعلم أن الشيطان ليس له سلطان على عباد الله المخلصين كما أخبر الله عز وجل في كتابه الكريم.

*- الصبر عن مخالفة أوامر الله تعالى:

من أشد أنواع الصبر على النفس الصبر على أداء الفروض والطاعات، واجتناب مخالفة أوامر الله عز وجل، وخاصة في زماننا هذا الذي كثرت فيه الفتن والمحن، وصار فيه القابض على دين كالقابض على جمر.

(١) سورة الحشر الآية: (١٦).

فوائد الصبر وثماره

للصبر فوائد وثمرات كثيرة، أخبرنا عنها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، نذكر منها ما يلي:

١- الصبر سبب للفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)^(١).
وقال الشاعر:

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
وقال آخر:

إني رأيتُ وفي الأيامِ تجربةً *** للصبر عاقبةٌ محمودةُ الأثر
وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاوله *** واستصحب الصبرَ إلا فازَ بالظفر

٢- الصبر سبب لمضاعفة الأجر والثواب، قال الله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)^(٢)، وقال: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)^(٣)، أي: بسبب صبرهم.

٣- تتعلق الإمامة في الدين بالصبر، فالصبر يبلغ أصحابه درجة الإمامة في الدين، قال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون لأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)^(٤).

(١) سورة آل عمران الآية: (٢٠٠).

(٢) سورة الزمر الآية: (١٠).

(٣) سورة القصص الآية: (٥٤).

(٤) سورة السجدة الآية: (٢٤).

٤- كفى الصابرون فخرا أن الله تعالى معهم، قال تعالى: (إن الله مع الصابرين) (١).

٥- جمع الله تعالى للصابرين ثلاثة أمور لم تجمع لغيرهم، فقال: (وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (٢).

٦- الصبر والصلاة من خير الأمور التي يستعين بها المؤمن في قضاء الحوائج وتفريج الكرب، قال تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة) (٣).

٧- الصبر والتقوى من أسباب النصر والتأييد من الله تعالى، قال تعالى: (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) (٤).

٨- الصبر والتقوى وقاية لصاحبهما من كيد العدو، قال تعالى: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) (٥).

٩- الملائكة يسلمون على الصابرين في الجنة، قال تعالى: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقبى الدار) (٦).

١٠- الصبر والعمل والصالح من أهم الأسباب التي تجعل صاحبهما يفوز بالمغفرة من الله تعالى والأجر الكبير، قال تعالى: (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) (٧).

(١) سورة البقرة الآية: (١٥٣).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٥٧).

(٣) سورة البقرة الآية: (١٥٣).

(٤) سورة آل عمران الآية: (١٢٥).

(٥) سورة آل عمران الآية: (١٢٠).

(٦) سورة الرعد الآية: (٢٤).

(٧) سورة هود الآية: (١١).

- ١١- الصبر من الأمور التي توصل صاحبه إلى محبة الله تعالى له، قال تعالى: (والله يحب الصابرين)^(١).
- ١٢- الصبر من عزائم الأمور وأجلها وأشرفها، قال تعالى: (ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور)^(٢).
- ١٣- الصبر يبلغ أصحابه مكانة ومنزلة لا يبلغها غيرهم، قال تعالى: (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)^(٣).
- ١٤- الصبر مفتاح الفرج، ومطية الفوز والنجاح، وما اقترن بعسر إلا عجل باليسر، قال تعالى: (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا)^(٤).

(١) سورة آل عمران الآية: (١٤٦).

(٢) سورة الشورى الآية: (٤٣).

(٣) سورة فصلت الآيات: (٣٤-٣٥).

(٤) سورة الشرح الآيات: (٥-٦).

الإعجاز العلمی فی الصبر

یعد الصبر أفضل علاج للاضطرابات النفسیة، بل قد یكون فیہ الشفاء النفسی كله، وهو ما یؤكدہ الدكتور أحمد شوقی إبراهیم رائد الإعجاز العلمی فی القرآن الكریم، حیث قائلًا:

" یتعرض الإنسان للصحة تارة وللمرض تارة أخرى، ویصاحب الصحة البدنیة المعاناة النفسیة فی الحیاة الیومیة، وكذلك یصاحب الاضطراب النفسی آلام عضویة فی معظم الأحوال.

والألم فی كل صورة ألم نفسی وألم عضوی، یرافق الإنسان طوال حیاته منذ ولادته وحتى وفاته، ولیست شدة الألم مقیاسا لخطورة المرض، فقد یكون المرض بسیطا، ولكنه یسبب ألما كبیرا مثل الآلام التی تحدث فی الأسنان، أو الألم الذی ینتج عن شوكة بالقدم، وقد یكون المرض خطیرا ومع ذلك لا یسبب ألما كبیرا مثل بعض أنواع السرطان الخبیثة كسرطان السل الرئوی.

والإحساس بالألم هو الذی یدفع المرء إلى طلب لعلاج، وضرورة لبقاء الجسم حیا وصحیحا، لذا فالإحساس بالألم نعمة ینبغي شكر الله تعالی علیها، وإذا أدرك الإنسان هذه الحقیقة سهل علیه الصبر علی الألم وبادر بشكر الله تعالی علی نعمه، بالصبر یحصل لإنسان علی خیر كثير فی الدنیا والآخرة، وتتحقق له الصحة النفسیة، والتوازن الداخلي للجسم"^(١).

وقد أظهرت دراسة أمریکیة حديثة أجريت علی أكثر من ثلاثة آلاف شخص تتراوح أعمارهم بین سن ١٨ إلى ٣٠ عاما، واستغرقت ثلاثة أعوام أن الأشخاص الذین هم فی مقتبل العمر ولا یتحلون بخلق الصبر، ویشعرون دائما

(١) انظر: موقع منتديات الأسرة نت بتاريخ ١١/١٠/١٤٢٦هـ، بتصرف.

بالقلق من أن الوقت غير كاف لإنجاز أعمالهم، يكونون أكثر عرضة من غيرهم للإصابة بمرض ارتفاع ضغط الدم.

وأوضحت الدراسة أنه كلما زاد الشعور بالقلق والاستعجال، وفقد الصبر زادت فرص الإصابة بأمراض ارتفاع ضغط الدم، مما يؤدي في النهاية إلى الإصابة بأمراض القلب والشلل الدماغي، وغيرها من الأمراض النفسية والعصبية^(١).

كما يؤكد أحد الباحثين أن الصبر على المصاب من أنفع الوسائل في علاج حالات الاكتئاب والحزن، لأن الصابر يصبره الله تعالى وينزل عليه سكينه وطمأنينة يرتاح لها قلبه، وينشرح بها صدره، وخاصة إذا كان لسان حاله الشكر، والذكر، والدعاء والاستغفار، والالتجاء إلى الله عز وجل^(٢).

(١) انظر: موقع نبض الحياة بتاريخ: ١٤٢٦/٠٧/٢٧ هـ.

(٢) انظر: منتديات الحصن النفسي بتاريخ: ١٤٢٦/٠٢/٢٩ هـ، وجريدة الأهرام المصرية بتاريخ: ٢٢/٠٧/٢٠٠٤ م.

الأمور المهمة على الصبر

هناك مجموعة من الأمور تساعد المؤمن على الصبر على بلاء الدنيا، وعدم الجزع مما أصابه، بل وشكر الله تعالى على هذا الابتلاء، ومن هذه الأمور ما يلي:

*-المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا:

من عرف طبيعة الحياة الدنيا وما جبلت عليه من أكدار ومشقة وعناء هان عليه أمرها، وهان عليه كل ما يصيبه من بلاء ومحن، لأنه قد أتاه أمر يتوقعه، ويتنظر حدوثه، وقد أخبرنا الله تعالى بذلك فقال: (ولقد خلقنا الإنسان في كبد)^(١)، فالدنيا لا تدوم لأحد، ولا تستقيم على حال قال تعالى: (وتلك الأيام نداولها بين الناس)^(٢).

فكم من طالب لها خذلتها، وكم من ركن إليها فأهلكتها، وكم من تقرب منها فأبعدته، زادها قليل، وشرها كثير، وحلوها مر، وأمنها فزع، وسلامتها عطب، وغناها فقر، وعزها ذل، والله دره الشاعر حين قال:

هي الدنيا تقول بملء فيها *** حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغرنكم مني ابتسام *** فقولي مضحك وفعلي مبكي

فعلى العاقل أن يوقن أن لكل فرحة ترحة، وما كان ضحك إلا بعد ه بكاء، وما ملئ بيت حبرة إلا ملئ عبرة، وما حوت دار من سرور، إلا حوت من حزن، وأنه لو فتش العالم فإنه لن يرى فيه إلا مبتلى إما بقدر محبوب، أو حصول مكروه، أو فوات مطلوب، وأن سرور الدنيا أحلام نوم، أو كظلم زائل، إن

(١) سورة البلد الآية: (٤).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٤٠).

أضحكت قليلا أبكت كثيرا، وإن أحسنت يوما ساءت دهورا، وإن أعطت قليلا منعت كثيرا.

*-اليقين بالله تعالى والإيمان به:

من الأمور التي تعين المؤمن على الصبر اليقين بالله تعالى، والإيمان به، فهما الملاذ الآمن لمن أصابته السراء ففتحت له الدنيا أبوابها قال تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله)^(١)، أو أصابته الضراء فكشرت له الدنيا عن أنيائها، وأدارت إليه ظهرها، وهشته بأظفارها.

وليعلم العبد أنه وما بيده لله تعالى، وأن الله تعالى متصرف فيه، وتجري أقداره عز وجل على الخلق بالعدل والحكمة، وأن كل ما يصيبه من خير أو شر بقدر الله تعالى ومشيئته، فله ما أعطى، والله ما أخذ، وكل شيء عنده بمقدار، ولذا مدح الله الصابرين الذين يسترجعون، ووعدهم بالصلاة عليهم والرحمة والهداية فقال تعالى: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذه الآية: " هذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته لأنها تتضمن أصلين عظيمين: أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل، وقد جعل عند العبد عارية، وأنه محفوف بعدمين: عدم قبله، وعدم بعده حتى يكون ملكه حقيقة، وأن ليس هو الذي يحفظ ما بين يديه من عارية من الآفات والعطب، ومن ثم فملك الإنسان لهذه الأشياء ليس حقيقي.

(١) سورة النحل الآية: (٥٣).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٥٥-١٥٧).

الثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، وأنه لا بد أن يخلف الدنيا وراءه ويقدم على ربه فردا كما خلقه أول مرة، بلا مال ولا أهل ولا عشيرة، قال تعالى: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة)^(١). فإذا كانت هذه بدايته ونهايته فكيف يفرح بوجوده ويأسى على مفقوده".

*-اليقين بحسن الجزاء:

إذا أيقن المصاب بعظم جزاء الصبر في الدنيا والآخرة سهل عليه الصبر، واستعذب المصاب، فلم ييأس ولم يجزع لضر أصابه، وهو ما أكدت عليه الكثير من آيات الذكر الحكيم، وأحاديث النبي (ﷺ)، قال الله تعالى: (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)^(٢)، وقال: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)^(٣).

*- الثقة بحصول الفرج:

من الأمور المعينة على الصبر الثقة بحصول الفرج، وأنه كلما اشتدت الأزمة، آذنت بقرب الحل، فكلما زاد ظلام الليل أوشك الصبح على الانبلاج، وقدما قالوا في المثل العربي: "اشتدي أزمة تنفرجي"، وقال الله تعالى: (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا)^(٤).

*- الاستعانة بالله تعالى:

(١) سورة الكهف الآية: (٤٨).

(٢) سورة النحل الآية: (٩٦).

(٣) سورة الزمر الآية: (١٠).

(٤) سورة الشرح الآيات: (٥-٦).

من خير الأمور التي تعين المصاب على الصبر الاستعانة بالله تعالى واللجوء إليه والاحتماء بحماه، فشعور المصاب بمعية الله معه وقربه من يخفف عنه مصابه ويساعده على الصبر، ومن كان في حمى الله تعالى ومعيته فلا ضل ولا ذل ولا مل، ولذا قال موسى عليه السلام لقومه عندما خافوا كيد فرعون وقومه: (استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين)^(١).

* - دعاء الله تعالى وذكره:

من الأمور التي تعين المصاب على الصبر وتعجل بالنصر وحصول الفرج الدعاء، وهو من الأمور التي أرشدنا الله تعالى ورسوله (ﷺ) إليها قال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)^(٢).

فالدعاء الخالص لله تعالى قد ثبت فاعليته في مواقف كثير فكان الرسول (ﷺ) دائم الدعاء لصحابه وأمته، ويونس عليه السلام فرج الله كربه ونجاه من بطن الحوت بالذكر والدعاء، وقصة الثلاثة الذين أوأهم المبيت إلى غار فانسدت عليهم فتحة الغار والتي ذكرت في الصحيحين إنما نجاهم الدعاء، وإبراهيم عليه السلام نجاه الله من النار بالدعاء ورزقه الذرية الصالحة بعد أن بلغ به الكبر عتيا، وأيوب كشف الله عنه الضر بالدعاء.

وللاستغفار أيضا فوائد عظيمة في حصول الفرح وسعة الرزق، وقد أوصى نوح عليه السلام قومه بالاستغفار ليحصل لهم ذلك فقال: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)^(٣).

(١) سورة الأعراف الآية: (١٢٨).

(٢) سورة النمل الآية: (٦٢).

(٣) سورة نوح الآيات: (١٠-١٢).

* - الإيمان بالقضاء والقدر:

إن حسن إيمان المرء بقضاء الله وقدره النافذ واستسلامه له من خير الأمور التي تعينه على مواجهة المصائب وتحمل آلامه، فعلى العبد أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله تعالى هو الذي يحكم ويقدر، وأنه لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه قال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)^(١).

وقال رسول الله (ﷺ) لابن عباس رضي الله عنهما: " يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" ^(٢).

* - التأسى بالصالحين والافتداء بهم:

من الأمور التي تعين المصاب على الصبر النظر في سيرة الصالحين والتأسى والافتداء بهم، وقد حرص القرآن الكريم على ذكر قصص كثيرة ونماذج متنوعة للصالحين الصابرين من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين، وأمر الله تعالى نبيه بالصبر افتداء بمن سبقه من أولي العزم من الرسل فقال تعالى: (

(١) سورة الحديد الآيات: (٢٢-٢٣).

(٢) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل^(١). وقال: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفئك الذين لا يوقنون)^(٢).

وقال: (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى آتاهم نصرنا، ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)^(٣).
وقال تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)^(٤).

(١) سورة الأحقاف الآية: (٣٥).

(٢) سورة الروم الآية: (٦٠).

(٣) سورة الأنعام الآية: (٣٤).

(٤) سورة العنكبوت الآيات: (٢-٣).

الأمور المهمة عن الصبر

هناك بعض الأمور قد تكون عائقاً أمام المصاب تعوقه عن الصبر على تحمل المصاب، والجزع مما أصابه، وهي كل ما يضاد ما سبق ذكره من الأمور المعينة على الصبر، مثل: ضعف الإيمان بالله تعالى وبالقضاء والقدر، وعدم اليقين بحسن الجزاء، وعدم الثقة بقرب الفرج، وترك الدعاء، والجهل بطبيعة الحياة الدنيا، وترك التأسي بالصلحين والافتداء بهم، ونزيد على ذلك ما يلي:

*- الاستعجال:

النفس الإنسانية فطرت على حب الاستعجال، قال تعالى: (خلق الإنسان من عجل)^(١)، فإذا أبطأ عليه ما يريد نفذ صبره، وضاق صدره، واستعجل قطف الثمرة قبل أوانها، ولهذا أمر الله تعالى نبيه بالصبر ونهاه عن الاستعجال فقال تعالى: (واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)^(٢)، والاستعجال من الأخلاق المذمومة التي تكون لها عواقب سيئة وأضراراً بالغة لمن كان خلقه الاستعجال، حيث يفوت على نفسه كثير من الخير العاجل والآجل، وقديماً قالوا في الأمثال: "في التأني السلامة وفي العجلة الندامة".

وليكن لنا في الأنبياء قدوة حسنة، فرسولنا الكريم (ﷺ) ظل يدعو قومه سرا وجهراً، وصبر عليهم مع ما شدة إيذائهم له، وبطشهم به وبأصحابه، ولم يستعجل النصر، وإنما صبر وجاهد في الله حق جهاده حتى جاء أمر الله، وفتح له فتحاً مبيناً.

(١) سورة الأنبياء الآية: (٣٧).

(٢) سورة الأحقاف الآية: (٣٥).

ونوح عليه السلام ضرب أروع المثل في الصبر، حيث ظل يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاما، ما فتر خلالها ولا يأس، ولا استعجل عليهم.

*-الغضب:

الغضب من الأمور المنافية للصبر، وهو باب من أبواب الشيطان، لذا أمر الرسول (ﷺ) بعدم الغضب، والاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم عند حصول دواعيه فقال: " لا تغضب"^(١)، فالغضب نزع من نوازع الشيطان قال تعالى: (وإما ينزغك من الشيطان نزع فاستعد بالله)^(٢).

*-اليأس:

من الأمور المنافية للصبر اليأس، لذا حذر منه يعقوب عليه السلام أبناءه، فمع مرور الزمن ومضي الأيام لم يقطع الأمل في أن يجد ولده الذي فقدته بعد مكيدة كادها له إخوته، وعندما تكرر الموقف قال لهم ناصحا: (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)^(٣).

كما نصح موسى عليه السلام بعدم اليأس فقال لهم عندما اشتد بهم البلاء: (استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)^(٤).

(١) انظر: موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٢) سورة الأعراف الآية: (٢٠٠).

(٣) سورة يوسف الآية: (٨٧).

(٤) سورة الأعراف الآية: (١٢٨).

ونصح الله تعالى عباده المؤمنين بعدم اليأس فقال: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مسح القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداؤها بين الناس)^(١).

(١) سورة آل عمران الآية: (١٤٠).

الحكايات عن الصابرين

الحكايات عن الصبر والصابرين كثيرة وشيقة، ولا يكاد يخلو عصر من العصور منها، فكل إنسان يتلى على قدر إيمانه، ويمتحن على قدر صبره، وبه تمتاز أنفس المؤمنين، وترفع به لهم الدرجات، وتحط به عنهم الذنوب والخطايا. ولقد كان في قصص السابقين من الأنبياء والصالحين عبرة وعظة لمن أراد أن يعتبر، وقدوة حسنة لمن أراد الثبات على الحق، ولم تزعزعه الأهواء أو تشبهه المصائب والمحن، وفيما يلي بعض النماذج من الصبر، لتكون لنا نبراسا نُهتدي به في دياجى الليالي الخالكة.

*—أولا: صبر الأنبياء:

الأنبياء هم خير البشر اصطفاهم الله تعالى لرسالته، وأيدهم بالكثير من المعجزات الظاهرة، و جعل لهم من الدلائل على صدق النبوة وقوة الحجة ما ليس لغيرهم، وأيدهم بنصره ورعايته، ومع ذلك صبروا جميعا، وتحملوا الأذى، وخاضوا الصعاب في سبيل نشر الدعوة، بل إن صبرهم لتضرب به الأمثال، وعزيمتهم كانت مدرسة للرجال، وقد كانوا جميعا عليهم الصلاة والسلام من أهل الابتلاء، فمنهم من ابتلى في نفسه، ومنهم من ابتلى في أهله، ومنهم من ابتلى قومه، أو ماله، ... وغير ذلك من أنواع الابتلاء، بل إنهم كانوا أشد الناس ابتلاء، وأعظمهم صبورا، وأوفرهم أجرا.

ولو سرنا نتبع صبر الأنبياء صلاة ربي وسلامه عليهم أجمعين لكتبنا في ذلك أسفارا عديدة، واستغرقتنا في تحبيرها قرونا مديدة، فما من نبي من الأنبياء ولا رسول من المرسلين إلا ابتلى فصبر، ونصر فشكر، بل إن صبر أحدهم على ما أصابه في سبيل الله لو وزع على أهل الأرض لوسعهم.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم الكثير من قصص الأنبياء والمرسلين وتابعيهم، نجد الصبر يتجسد في كل قصة من هذه القصص بأشكاله وأنواعه المختلفة، فمن أمثلة الصبر التي تجسدت في قصص الأنبياء ما يلي:

***- الصبر في الدعوة:**

ومن أمثلته: نوح عليه السلام، الذي ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يلق منهم إلا الاستهزاء والسخرية والتكذيب، حتى من أقرب الناس إليه زوجته وولده، فأبى صبر هذا الذي يستمر ألف سنة إلا خمسين عاماً؟! وأي عزيمة تقوى على هذا الصبر ولم تقطع الأمل، ولم يتسرب إليها اليأس طوال هذه السنوات الطويلة؟!.

لا بد أنها نفوس ذكية، وقلوب طاهرة، وأبدان على البلاء صابرة، ترجو رحمة ربها، وتخشى عذابه، تحتسب كل ما تلاقيه من عناء وشدة في سبيل الله تعالى، وتحون أمامها الصعاب من أجل نشر دعوة التوحيد. إنها نفوس تربت على الإيمان الصادق واليقين الجازم، واتصلت بخالفها، وأدت الأمانة التي كلفت بها خير أداء، فلم تجزع لما أصابها في سبيله، ولم تقنط من رحمته وتأييده، ولم تقطع الأمل في النصر والظفر.

***- الصبر على طاعة الله تعالى:**

ومن أمثلته: خليل الله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، فقد ابتلي إبراهيم عليه السلام في قومه، فعندما دعاهم إلى عبادة الأصنام والأوثان، والكواكب والنجوم لم يجد منهم آذانا صاغية، مع أنه استنفذ معم كل طرق الدعوة، واستخدم معهم الحججة، وبرهن له على صدق رسالته ودعوته بأساليب شتى، ومع ذلك كذبوا وأبوا، بل زادوا على ذلك بأن أوقدوا له نار عظيمة وألقوه فيها مقيدا، فلم يجزع ولم يفزع؛ بل ظل رابط الجأش، مستقر النفس، حتى جاءه النصر من الله تعالى، وكانت النار عليه بردا وسلاما.

ثم كبر إبراهيم في السن، وكانت امرأته عاقرا فسأل الله تعالى أن يرزقه ذرية صالحة، فاستجاب الله له ورزقه الولد على كبر، ثم ابتلي في هذا الولد مع حبه الشديد له وتعلقه به، فأمره الله تعالى أنه يسكنه - وهو ما زال طفلا رضيعا - وأمه بواد غير ذي زرع، لا أنيس فيه ولا جليس غير الله تعالى، ويعود إلى قومه ليكمل مهام دعوته، فيستجيب لأمر ربه صابرا محتسبا.

وعندما يكبر الولد ويبلغ السعي ويصير عوناً لأبيه عند كبره يتبلى فيه مرة أخرى، حيث يرى في المنام أنه يذبح ولده قرّة عينه الذي انتظر مجيئه سنوات طويلة، وتعلق به قلبه.

وفي أي مرحلة؟ عند الكبر.. وفي تلك اللحظة الحاسمة التي يحتاج فيها الأب لبنيه ليكونوا له عوناً وسندا!.

وهنا يتجلى الصبر في أسمى صوره ومعانيه، أب كبير وشيخ فان، وابن شاب وحيد والديه انتظراه لسنوات طويلة، وزوجة تحملت ألم الفراق والبعد عن الزوج لسنوات، وتحملت المشاق في ظروف حياتية صعبة من أجل تربية ولدها الوحيد وفلذة كبدها، حقا أنه موقف صعب وصبر عجيب!.

لم يتردد إبراهيم عليه السلام في تنفيذ أمر ربه لأنه يعلم أن رؤيا الأنبياء وحي من الله تعالى، ولم يتأول الرؤيا لصالحه لشدة تعلق قلبه بولده، لأن تعلقه بالله الذي وهب له الولد على الكبر كان أشد وأعظم.

وقص إبراهيم عليه السلام على ابنه إسماعيل عليه السلام رؤياه، فماذا كان موقف الولد عندما أخبره والده أنه يرى في المنام أنه يذبحه؟!.

لقد كان جواب إسماعيل لأبيه خير جواب لابن بار مؤمن يعرف قدر أبيه، ويستجيب لأمر ربه، فلم يجزع، ولم يفزع، وكان إيمانه بالله أكبر من أن

يتزعزع لهذا الخبر الذي قد يكلفه حياته مجرد رؤيا رآها والده، حيث قال إسماعيل لأبيه: (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)^(١).

لقد أيقن إسماعيل أن ما رآه أبوه في المنام أمر إلهي واجب التنفيذ، وليس مجرد رؤيا عادية لذا طلب من والده المسارعة بتنفيذ أمر ربه، ووعده أن يكون من الصابرين، وقدم المشيئة الإلهية، لأن هذا الموقف لا يثبت فيه إلا من ثبته الله عز وجل، كل هذا والحدث ما زال حوارا وكلاما يدور بين الأب وابنه، وربما يكون الفعل غير ذلك.

وجاء موعد التنفيذ... ولنا أن نتخيل مدى الألم الذي يمكن أن يشعر به مثل هذا الأب وهو ينهي حياة ولده الحبيب بيده، وبأي طريقة للقتل؟ بالذبح.. إنه حقا موقف عصيب وابتلاء مبين، ولكنه أيضا يدل على صدق الإيمان، وقوة الصبر، وعظم الابتلاء.

فها هو الأب يشحذ مديته، ويلقي ولده على وجهه ويهم بذبحه مستجيبا لأمر به صابرا محتسبا، وهنا تدرك العناية الإلهية إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل، ويفدي الله إسماعيل بذبح عظيم، ويبارك عليه ويجعله من المرسلين، ويثني عليه وعلى أبيه، ويبلغهما درجة الإحسان أسمى درجات الإيمان وأعلاها قال الله تعالى في ذكر هذه القصة: (قال إن ذاهب إلى رب سيهدين، رب هب لي من الصالحين، فبشرناه بغلام عليم، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا هو البلاء المبين، وفديناه بذبح

(١) سورة الصافات الآية: (١٠٢).

عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين^(١).

*-الصبر على الابتلاء في النفس والأهل:

ومن أمثلته: أيوب عليه السلام، فقد صبر عليه السلام على البلاء في الأهل والمال والولد صبورا عجيبا صار مضرب الأمثال، وكلما ذكر الصبر ذكر أيوب عليه السلام.

لقد أصابه الضر في بدنه فصبر وشكر، وفقد ماله فلم يجزع، وفقد أهله وولده فلم يقنط من روح الله ولم يشكو ولم يسخط على قدر الله ومشيعته بل ظل صابرا محتسبا، وابتعد عنه الأهل والأصحاب بسبب ضر أصابه في بدنه واستمر به الضر لسنوات طويلة، وكان كلما طلبت منه زوجته أن يدعو ربه أن يكشف عنه ضره كان يصبرها ويذكرها بسنوات النعيم الله عاشها، فكان يستحي من الله عز وجل ويتأدب معه حتى بلغ به الصبر مداه، فكان عاقبته أن كشف الله ما به من ضر، ووهب له أهله ومثلهم معهم ورد عليه عافيته وماله ومدحه ووصفه بالصابر الأبواب، وفرج عنه كربته، وخلد ذكره، قال تعالى في شأنه: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أي مسني الشيطان بنصب وعذاب، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب، وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدنا صابرا نعم العبد إنه أواب)^(٢).

لقد تأدب أيوب عليه السلام مع الله تعالى، وفكان جديرا بتشريف الله وتكريمه له، قال تعالى: (وأيوب إذا نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم

(١) سورة الصافات الآيات: (٩٩-١١١).

(٢) سورة ص الآيات: (٤١-٤٤).

الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين، وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين^(١).

* الصبر عن معصية الله تعالى:

ومن أمثله: يوسف الصديق عليه السلام، الذي صبر على كيد إخوته له عندما ألقوا في الجب وهو مازال فتى صغيراً، وصبر حين بيع بثمن بخس، وذاق مرارة الأسر، وصبر حين راودته امرأة العزيز عن نفسها، وصبر حين كادت النسوة له، وصبر حين دخل السجن بغير جريمة ارتكبتها، ومكث فيه سنوات طويلة، وصبر حين مكن الله في الأرض، كل هذه أنواع من الصبر صبرها يوسف عليه السلام راضياً محتسباً.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى، نقلاً عن شيخه ابن تيمية: "كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه بثمن بخس وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه الأمور جرت عليه بغير اختياره، ولا كسب له فيها، وليس للعبد فيها حيلة غير الصبر.

وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس ودواعي الهوى ووساوس الشيطان، ولا سيما مع كثرة الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة، والتي منها:

- أنه كان شاباً، وداعية الشباب قوية.
- أنه كان عزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته.
- أنه كان غريباً والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه بين أصحابه ومعارفه وأهله.
- أنه كان مملوكاً، والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحر.

(١) سورة الأنبياء الآيات: (٨٣-٨٤).

- أن المرأة جميلة وذات منصب، وهي سيدته.

- وقد غاب الرقيب.

- والمرأة هي الداعية إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص.

- وأن المرأة توعدته إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن والصغار والعذاب الأليم.

ومع كل هذه الدواعي كلها صبر اختيارا وإيثارا لما عند الله تعالى^(١).

* صبر موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام:

لقد صبر موسى عليه السلام على كيد فرعون وقومه، ومحاربتهم له ولمن آمن معه، وصبر على بني إسرائيل مع كثرة إيذائهم له، وخروجهم عليه، فقد آذوه أشد الإيذاء، وكلما آتاهم بمعجزة طلبوا غيرها، وأحدثوا أمورا في الدين وهو ما زال حيا بين أظهرهم.

وصبر عيسى عليه السلام على بني إسرائيل مع إيذائهم له وقدحهم فيه، وفي أمه، ولم يسلم من أذاهم حتى نجاه الله تعالى منهم، ورفع له إليه، كما لم يسلم نبي من أنبياء بني إسرائيل من الأذى، فكانوا كلما خرج فيهم رسول كذبوه أو عذبوه أو قتلوه بغير حق.

وصبر حبينا محمد (ﷺ) كما صبر ألو العزم من الرسل، صبر على طاعة الله، وصبر في الدعوة إلى الله، وصبر على أذى الناس، وصبر على أقدار الله المؤلمة في فقد الأب والأم والزوجة والعم والأبناء، وصبر على الجوع والعطش، وصبر حين البأس والشدة، وصبر على ترك الأهل والوطن، وصبر على الفقر، وعلم أهله وأصحابه الصبر.

(١) انظر: عدة الصابرين لابن القيم بتصرف.

ثانيا: صبر الصحابة:

لقد صبر صحابة رسول الله (ﷺ) اقتداء به وبالأنبياء قبله، وكما صبر أهل الإيمان من أتباع الرسل السابقين، طلبا للأجر والثواب من الله تعالى، صبروا معه في السراء وفي الضراء، صبروا على تعذيب الكفار لهم في مكة، وصبروا حين قاتلوهم وحاصروهم في مواطن كثيرة، وصبروا حين فتح الله لهم الأرض وملكوها، وصبروا حين أصابتهم الضراء والمحن، وصبروا حين ضحوا بكل ما يملكون وبذلوا النفس والأهل والمال في سبيل الله تعالى، وضرِبوا أروع المثل في الصبر.

وفيما يلي مقتطفات من صبر الصحابة ذكرت في كتاب الرحيق

المختوم للمباركافوري، وكتاب حياة الصحابة للكاندهلوي:

لقد صبر صحابة رسول الله (ﷺ) رجالا ونساء وشبابا معه في مواطن كثيرة ولو ذهبنا نتبع المواقف التي بين صبرهم لأعيانا ذلك عن الحصر، فقد صبر أبو بكر، وصبر عمر، وصبر عثمان، وصبر علي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وآل ياسر، وأمّهات المؤمنين، نساء المؤمنين، ومن أمثلة صبرهم:

*-الصبر على المرض:

-روي أن الحمى أصابت أهل قباء، ولقوا منها ما لقوا، فأتوا النبي (ﷺ) فشكوا إليه، فقال لهم: "إن شئتم دعوت الله فكشفها عنكم، وإن شئتم صبرتم فتكون لكم طهورا". قالوا: فدعها يا رسول الله (1).

-روي أن امرأة أتت النبي (ﷺ) فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف فادع الله لي، فقال لها: "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك". فقالت: أصبر، ولكن ادع الله ألا أتكشف، فدعا لها (1).

(١) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

-وروي أن الطاعون أصاب معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة، وأبو مالك الأشعري في يوم واحد، فقال معاذ: إنها رحمة ربكم ودعوة نبيكم (ﷺ)، وقبض الصالحين قبلكم، اللهم آت آل معاذ النصيب الأكبر من هذه الرحمة... " (٢)

*-الصبر على فقد الأولاد:

-عن أنس (رضي الله عنه) أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر، فجاءت أم حارثة فقالت: يا رسول الله أخبرني عن حارثة إن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء، فقال (ﷺ): " يا أم حارثة إنها جنان، وليست جنة واحدة، وابنتك أصاب منها الفردوس الأعلى". فرجعت تضحك وتقول: بخ بخ يا حارث (٣).

-وروي أن أبي طلحة وزوجته أم سليم رزقا بولدا، وأحباها حبا شديدا، ومرض الولد وقبض بين يدي أمه، فما رجع أبو طلحة سأل زوجته عن ولده فقالت: هو أسكن مما قبل (تعني الموت) ثم جهزت له عشاءه وتزينت له حتى أصاب منها، ثم قالت له: يا أبا طلحة إن قوما استعاروا عارية فلبثت عندهم ما شاء الله، ثم إن أهل العارية أرسلوا في طلبها فهل لهم أن يمنعوها؟ فقال: لا، فقالت له فإن الله طلب عاريته فاحتسب ابنك فإنه مات، فغضب أبو طلحة وقالت هلا أخبرتني قبل (يقصد قبل أن يكون بينهما ما كان)، وذهب إلى النبي (ﷺ) يشكوا إليه فعل زوجته، فسأله النبي (ﷺ): "أعرستم الليلة؟"، فقال: نعم، فقال

(١) للرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(ﷺ): "لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما". قال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم ممن يحفظون القرآن^(١).

*- الصبر على الإيذاء والتعذيب في سبيل الدعوة:

- صبر بلال بن رباح رضي الله عنه عندما عذبه أمية بن خلف، أشد أنواع العذاب وأقساها، حيث كان يضع الصخر على بطنه فوق رمال مكة المحرقة، فلم يزعر ذلك إيمانه، وإنما كان ثابت الجأش يردد أحد أحد، حتى آتاه الفرج، واشتره أبو بكر الصديق وأعتقه، وصار مؤن رسول الله ﷺ.

- وصبر صهيب الرومي على ذل الأسر واستطاع أن ينال حريته بعد مجهود شاق، وصبر على ترك ماله كله عندما منعه كفار قريش أن يأخذ ماله عندما أراد الهجرة إلى المدينة ليلحق برسول الله ﷺ، فأنزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم الدين، وقابله الصحابة مهنتين قائلين له ربح البيع.. ربح البيع، قال تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رؤوف بالعباد)^(٢).

- وصبر آل ياسر وذاقوا أصناف العذاب، فتحملوا كل ذلك ولم يتخلوا عن إيمانهم لحظة واحدة، فكانوا جديرين ببشارة النبي ﷺ لهم، حيث قال: "صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة"^(٣).

وقال تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا)^(٤).

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٠٧).

(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة الأحزاب الآية: (٢٣).

-وصبر عبد الله بن حذافة بن قيس عندما أراد ملك الروم أن يرده عن إيمانه بعدما وقع في الأسر ، وحاول معه بطرق شتى، وأذاقه ألوان العذاب فما جزع ولا تزحزح عن دينه، حتى نجاه الله منه، وعاد سالماً، ومعه جميع أسرى المسلمين^(١).

-اشتكى ابن لعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، وحزن عليه حزناً شديداً، فقال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث لهذا الغلام حدث، وشاء الله ومات الغلام، فخرج ابن عمر في جنازته وما رجلاً أبدى سروراً بهذا الحدث إلا ابن عمر، فقيل له: ما هذا خشينا عليك يا ابن عمر، فقال: إنما تلك رحمة به، فلما وقع أمر الله رضينا به، فلما دفن الولد جلس عند القبر يضحك، فقيل له أتضحك عند القبر؟ فقال: أردت أن أرغم أنف الشيطان^(٢).

(١) انظر: موقع الساحة المفتوحة بتاريخ: ١٧/٤/٢٠٠١ م.

(٢) المرجع السابق.

ثالثا: صبر التابعين:

وصبر التابعون كما صبر الصحابة السابقون، وضربوا أروع المثل في الصبر بجميع أنواعه وأقسامه، وكتب التاريخ والسير حافلة بنماذج مشرفة من الصابرين من التابعين، نذكر منهم ما يلي:

-قدم على الوليد بن عبد الملك وفد من بني عبس، وفيهم شيخ ضير، فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره، فقال: خرجت مع رفقة لي في سفر ومعني مالي وعيالي، ولا أعلم عبسي يومئذ أكثر مني مالا، فعرسنا في بطن واد، فطرقنا سيل، فذهب ما كان ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير، وبغير، فشرد البعير ف وضعت الصبي على الأرض وذهبت في طلبه، وعندما اقتربت منه سمعت صيحة الصغير، فرجعت إليه فإذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه، فرجعت إلى البعير، فركلني برجله فحطم وجهي، فذهبت عيناي، فأصبحت منذ ذلك اليوم بلا مال ولا ولد ولا عينين^(١).

-مات عبد الله بن مطرف فخرج أبوه مطرف بن الشخير على قومه في ثياب حسنة، وقد دهن رأسه وتطيب، فغضب القوم، وقالوا: يموت عبد الله ثم تخرج إلينا في هذه الزينة؟ فقال مطرف: أفأستكين لها؟ وقد وعد ربي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال، كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا وما فيها، ثم تلا قول الله تعالى: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليه صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)^(٢).

-ويروى عن القاضي شريح أنه توفي له صبي، فجهزه وكفنه ودفنه بالليل، ولم يشعر به أحد، ولم جلس للقضاء في الغد جاء الناس إلى مجلسه على عاداتهم

(١) انظر: كتاب صور من حياة التابعين لعبد الرحمن رأفت الباشا، ص: (٤٦).

(٢) سورة البقرة الآيات: (١٥٥-١٥٧).

يعودنه ويسألونه عنه، فقال: الحمد لله فقد الأنين والوجع، فظن الناس أنه عوفي من مرضه، فقال وهو يضحك: احتسبناه في جنب الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

-دخل علي بن أبي طالب عليه السلام مسجد الكوفة يوماً وقال لرجل واقفا على باب المسجد: امسك بغلتي.. فأخذ الرجل لجام البغلة وانصرف، وتركها بغير لجام، وخرج علي عليه السلام من المسجد وفي يده درهمان يريد أن يكافئ الرجل على إمساكه البغلة، فوجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى، ثم دفع لغلامه قنبر الدرهمين وأمره أن يذهب إلى السوق فيشتري لجاماً جديداً للبغلة، فلما ذهب قنبر إلى السوق وجد اللجام وقد باعه السارق بدرهمين، فقال علي عليه السلام: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر^(٢).

-ويروى أن أحد التابعين فقد عينه، فظل ثلاثين سنة لا يحدث أحداً بذلك، ولا يعلم بما مخلوق.

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: كتاب حياة الصحابة.

الوقفه الثانية

الإِبْرَاهِيمَ تِلْكَ لَمَّا

ثمانية لآبج منها علج الفلج
ولآبج أن تجر عله اللمانية

سرور وهم واجلماع وفرقة
ويسر وعسر ثم سقم وعافية

تعريف الابتلاء

-الابتلاء في اللغة:

مادة (بلو) وتعني الاختبار والتمحيص، والتجريب، قال تعالى: (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين)^(١).

-وفي الاصطلاح:

هو تقدير الله عز وجل لعباده بالخير والشر لحكمة يعلمها، ليمحص المؤمن من غيره، ويختبر صدق إيمان عبده.

والابتلاء سنة ربانية، ومن مقتضيات الحكمة الإلهية، ويقع في الفقر والغنى، والصحة والمرض، والقلّة والكثرة، والخوف والأمن، وفي كل ما نحب ونكره.

وقد وردت لفظة الابتلاء، والبلاء في كثير من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: (ولبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين)^(٢). وقال تعالى: (ولبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون)^(٣). وقال تعالى: (ونبلوكم بالخير والشر فتنة، وإلينا ترجعون)^(٤). وقال تعالى لإبراهيم عليه السلام: (إن هذا هو البلاء المبين)^(٥).

(١) سورة القلم الآية: (١٧).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٥٥).

(٣) سورة الأعراف الآية: (١٦٨).

(٤) سورة الأنبياء الآية: (٣٥).

(٥) سورة الصافات الآية: (١٠٦).

كما وردت في حديث رسول الله (ﷺ)، حيث قال: "إن الصبر يأتي من الله تعالى على قدر البلاء"^(١).

وقال (ﷺ): "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"^(٢).

وقال (ﷺ): "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط"^(٣).

فالبلاء والابتلاء من الألفاظ التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى وفي

سنة رسوله (ﷺ)، وكلها ترجع إلى أصل واحد هو (ب ل و)^(٤).

(١) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: معجم لسان العرب مادة (ب ل و).

أنواع الابتلاء

- أنواع الابتلاء كثيرة، ومتنوعة، فقد يكون الابتلاء بالخير، وقد يكون الابتلاء بالشر، كما قال تعالى: (ونبلوكم بالخير والشر فتنة)^(١).
- وقد يكون الابتلاء في أحد الأمور التالية:
- ١- الابتلاء في الدين: بالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية.
 - ٢- الابتلاء في النفس: بالصحة والمرض، والقوة والعجز، والسلامة والعطب.
 - ٣- الابتلاء في المال: بكثرة المال، أو قلته، والغنى والفقر، والربح والخسارة، والرواح والكساد.
 - ٤- الابتلاء في الأهل والولد: بكثرة الولد أو قلته وعدمه أو فقده، أو عقوقه، وبره، وحياته وموته.
- فليس الشر وحده ابتلاء، بل إن الخير أيضا ابتلاء، والابتلاء بالخير والشر اختبار وامتحان للعبد في الصبر والشكر.

سورة الأنبياء الآية: (٣٥).

أسباب الابتلاء

الابتلاء يقع بالعبد لحكمة إلهية وغاية ربانية، وتتعدد أسباب الابتلاء الظاهرة والخفية، وتتجلى فيها جميعا قدرة الله تعالى وعجائب صنعته في الخلق، وقد ترجع أسباب الابتلاء إلى:

١- اختبار الله لعبده:

فقد يريد الله تعالى أن يجرب عبده ويختبره، كما قال تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) ^(١).

٢- معصية العبد لربه:

قد تكون المعصية سببا لوقوع البلاء، كما حدث في الأمم السابقة، حينما كذبوا رسلهم وخالفوهم فيما جاءوا به من المنهج الصحيح، والديانة السوية، فكان عاقبة أمرهم خسرا، وأنزل الله عليهم أنواعا من البلايا، وعاقبهم بها، فمنهم من أغرق، ومنهم من خسف به الأرض.

٣- رحمة الله بعباده ومحبتهم لهم:

قد يكون الابتلاء رحمة من الله بعباده ليذكركم به، ويرجعهم إليه، وهو دليل محبته لهم، قال رسول الله (ﷺ): "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط" ^(٢). وقال (ﷺ): "إذا أراد الله بعد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا" ^(٣).

(١) سورة الملك الآية: (١).

(٢) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٣) المرجع السابق.

وقال (ﷺ): "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يتلقى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، وما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة" (١).

وقال (ﷺ): "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة" (٢).

وقال (ﷺ): "إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها" (٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

الأسباب المهيئة على تحمل الابتلاء

هناك جملة من الأمور تعين المبطل على الصبر على الابتلاء، وما

أصابه من الضر، نذكر منها ما يلي:

١- معرفة العبد بالله تعالى وإيمانه به:

فمعرفة لعبد بربه وإيمانه به سبحانه وتعالى تحون عليه البلاء، لأنه يقر بقدرة الله تعالى ويعترف بوجوده، فهو سبحانه وتعالى القادر المقدر، القابض والباسط، والرافع والخافض، والمعز والمذل، والخبي والمميت له الأسماء الحسنی والصفات العلی، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.

٢- الإيمان الصحيح بقضاء الله وقدره والرضى به:

لا يتم إيمان المرء حتى يوقن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ويؤمن أن كل شيء من تقدير الله عز وجل وبمشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، وأنه سبحانه وتعالى إذا حكم فلا معقب لحكمه، وإذا قضى فلا راد لقضائه، سبحانه وتعالى خلق كل شيء فقدره تقديراً.

والإيمان بالقضاء والقدر من أعظم صفات المؤمن المتوكل على ربه عز وجل، المصدق بوعدده، والراضي بحكمه، والمسلم لأمره.

٣- معرفة حق الله تعالى في هذه البلوى:

إن مما يعين المرء على تحمل المصائب والصبر على البلاء أو الابتلاء مراعاة حق الله تعالى في هذه البلوى، واحتساب الأجر والثواب في المصيبة، فلا يجزع ولا يسخط، ولا يقول إلا ما يرضي الرب تبارك وتعالى.

وقد نهى الرسول (ﷺ) عن لطم الحدود وشق الجيوب والدعاء بدعاء الجاهلية، وأمر بالاحتساب وإرجاع الأمر لله تعالى، فقد توفي ابنه إبراهيم، فقال:

"إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا لفراقك يا إبراهيم لحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا"^(١).

٤- الاستعانة بالله تعالى والالتجاء إليه:

الاستعانة بالله تعالى واللجوء إليه من خير القواعد التي تعين المبتلى على بلواه وتساعد على الصبر على مصيبتة، فالله تعالى خير معين، وخير ملجأ، والله تعالى أكبر من كل شيء.

يقول الإمام موفق الدين ابن قدامة -رحمه الله تعالى-: "ينبغي للمصاب أن يستعين بالله تعالى ويتعزى بعزائه، ويمتثل أمره في الاستعانة بالصبر والصلاة، ويتنجز ما وعد الله الصابرين في كتابه، ويسترجع"^(٢).

٥- التأسي بال صالحين والنظر في سيرهم والاعتبار بقصص السابقين:

النظر في سير الصالحين يري المبتلى أنه ما بتلى إلا لخير أراد الله به، وأنه ليس وحده المبتلى فقد ابتلى من هو خير منه وأفضل عند الله تعالى منه من الأنبياء والصالحين فصبروا على ما ابتلوا به حتى أتاهم نصر الله وفرجه، وأين صبره من صبرهم؟ وأين بلواه من بلواهم؟

فعند ذلك يطمئن قلبه وتهدأ نفسه، ويرضي بما قسم ربه، ويصبر على ما ابتلاه الله راضياً محتسباً.

٦- النظر في لطف الله تعالى به في هذه المصيبة إذ لم تكن أكبر منها:

إذا نظر المبتلى في ألطاف الله تعالى في مصيبتة، ورأى أن غيرها أكبر منها، حمد الله تعالى على بلواه، فقد قالوا في المثل: "من نظر إلى مصيبة غيره هانت عليه مصيبتة"، فله تعالى في كل ابتلاء ألطاف بعباده إذ لم تكن أكبر

(١) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة، ٤٩٥/٣، بنصرف.

منها، وربما يكون في المصاب الخير كل الخير للمبتلي في عاجلته وآجلته، قال تعال: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^(١).

فقد روي عن عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: " ما أصبت ببلاء إلا كان لله علي فيه أربع نعم: أنه لم يكن في ديني، وأنه لم يكن أكبر منه، وأني لم أحرم الرضى والصبر، وأني أرجو ثواب الله تعالى عليه"^(٢).

ويروى عن عروة بن الزبير -رحمه الله تعالى- حين قطعت رجله، وتوفي ولده أنه ما زاد على قول الحمد لله، اللهم لك الحمد فإن أخذت فقد أبقيت، وإن ابتليت فقد عافيت، فسئل عن ذلك، فقال: كان لي أربعة أطراف فأخذ الله من طرفا وأبقى ثلاثة، فله الحمد على ما أخذ، وله الشكر على ما أبقى، وكان لي سبعة من الأبناء فأخذ واحدا وأبقى ستة، فله الحمد على ما أخذ وله الشكر على ما أبقى، وقد عافاني الله فيما مضى من حياتي ثم ابتلاني اليوم، أفلا أحمده على ذلك"^(٣).

٧- أن يقر العبد بذنبه ويعترف بخطيئته، فيتوب ويستغفر:

من الأمور التي تساعد المصاب على الصبر على ما ابتلاه الله به أن يقر العبد بذنبه ويعترف بخطئه، وأنه ربما كان ما ابتلي به من شر إنما بسبب فعله وعمله، فيتوب ويستغفر، فيحصل له الفرج بإذن الله تعالى، فندما وقع سيدنا يونس عليه السلام في الشدة، نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجاب له ربه تبارك وتعالى وكشف ما به من ضر.

(١) سورة البقرة الآية: (٢١٦).

(٢) انظر: موقع جمعية البر بالرياض بتاريخ ١٤/٥/١٤٢٦ هـ.

(٣) المرجع السابق.

٨- معرفة العبد لحقيقة الحياة الدنيا، وأنها لا تخلو من الأكدار:

على المرء أن يعرف الحياة الدنيا على حقيقتها وأنها متاع الغرور كما قال الله تعالى: (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (١).

وأن الحياة لا تخلو من المنغصات، وأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وأن الآخرة هي دار القرار، وأن الدنيا أهون على الله من جناح البعوضة، فلا يغتر بما عاقل، ولا يركن إليه لبيب، وأنها كما قال الشاعر:

طبعت على كدر وأنت تريدھا *** صفوا من الأقداء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها *** مستطلب الماء في جذوة نار
وقال آخر:

هي الأمور كما شاهدتها دول *** من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد *** ولا يدوم على حال لها شان
وقال ثالث:

صحب الناس قبلنا ذا الزمان *** وعناهم من أمره ما عنانا
وتولوا كلهم بغصة منه *** وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لباله *** لكن تكدر الإحسانا
٩- معرفة العبد بأضرار الجزع عند المصيبة:

فمعرفة العبد بعاقبة الجزع عند المصاب وما يحرم به نفسه من الأجر والثواب، يهون على مصيبتة ويساعده على الصبر عليها وتحملها، فالجزع يغضب الرب ويسر الشيطان، ويجبط الأجر.

١٠- معرفة العبد بحسن الجزاء والثواب على الصبر على المصاب:

(١) سورة الحديد الآية: (٦١).

معرفة العبد بحسن الثواب وعظم الأجر في الصبر على المصائب يهون عليه المصيبة ويساعده في الصبر عليها.

فقد قال رسول الله (ﷺ): " يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض "(١).

وقال (ﷺ): " ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها "(٢).

١١- اليقين بحصول الفرج بإذن الله تعالى:

على العبد أن يوقن بحصول الفرج، اليقين بحصول الفرج وانتظاره من الله تعالى يهون الصبر على البلاء، ويساعد عليه، قال تعالى: (فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا) (٣).

وقال وهب بن منبه: "لا يكون الرجل فقيها كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة، ويعد الرخاء مصيبة، وذلك لأن صاحب البلاء ينتظر الرخاء، وصاحب الرخاء ينتظر البلاء.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى *** ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها *** فرجت وكنت أظنها لا تفرج
وقال آخر:

يا صاحب الهم إن الهم منفرج *** أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه *** لا تيأسن فإن الكافي الله

(١) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة الشرح الآيات: (٥-٦).

الله يحدث بعد العسر ميسرة *** لا تجزعن فإن القاسم الله
إذا ابتليت فتق بالله وارض به *** إن الذي يكشف البلوى هو الله
والله ما لك بعد الله من أحد *** فحسبك الله في كل لك الله

أحوال الناس عند الابتلاء

تتباين أحوال العباد عن الابتلاء تباينا كبيرا، ويظهر الناس على حقائقهم من الصبر والرضى والجزع والسخط، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "المصائب التي تحل بالعبد وليس له فيها حيلة في دفعها، كموت من يعز عليه، وسرقة ماله، ومرضه، ونحو ذلك، فإن للعبد فيها أربع مقامات: -أحدهما: مقام العجز، وهو مقام الجزع والشكوى والسخط، وهو ما لا يفعله إلا أقل الناس عقلا ودينا ومروءة.

-الثاني: مقام الصبر إما لله، وإما للمروءة الإنسانية.

-الثالث: مقام الرضى، وهو أعلى من مقام الصبر.

-الرابع: مقام الشكر، وهو أعلى من مقام الرضى، حيث يشهد المبتهلى البلية نعمة فيشكر الله عليها^(١).

وقد علق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى على كلام ابن القيم فقال: "للإنسان عند حلول المصائب أربع حالات:

-الحال الأول: أن يتسخط، إما بقلبه، أو بلسانه، أو بجوارحه:

فتسخط القلب بأن يكون ق=في قلبه شيء على ربه عز وجل من السخط والشره، والعياذ بالله تعالى، ويشعر كأن الله تعالى قد ظلمه بهذه المصيبة، تعالى الله على ذلك علوا كبيرا.

وتسخط اللسان بأن يدعو بالويل والثبور، أو يسب الدهر فيؤذى الله تعالى وما أشبه ذلك.

(١) انظر: كتاب عدة الصابرين، لابن القيم، ص: (٨١) بتصرف.

وتسخط الجوارح يكون بلطم الحدود، وشق الجيوب، ونحو ذلك من أفعال الجاهلية.

— الحال الثانية: أن يصبر:

والصبر على المصيبة يكون بحبس النفس عن فعل ما يكره عند المصاب، فيحبس اللسان عن التحدث بما يغضب الله، ويحبس الجوارح عن فعل ما لا يليق شرعا وعرفا، ويحبس القلب عن السخط.

—الحال الثالثة: أن يرضى:

والرضى يكون بانسراح الصدر عند المصاب، ويكون الرضى التام بأن يشعر الإنسان كأن لم تكن به مصيبة، أو لم تنزل به نازلة.

—الحال الرابعة: أن يشكر:

والشكر يكون بحمد الله تعالى على المصاب، فقد كان (ﷺ) إذا أصابه مكروه قال: "الحمد لله على كل حال" (١). (٢)

(١) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين ١/١٢١-١٢٢، بتصرف.

فوائد الابتلاء

للابتلاء فوائد عظيمة، وحكم جلييلة، قد يتجلى لنا بعضها ويخفى بعض، وعلى الإنسان أن يصبر على ما ابتلاه الله تعالى به من خير أو شر، وفيما يلي نذكر بعض هذه الفوائد:

١- الابتلاء امتحان واختبار:

يتلى الله تعالى عباده ليختبرهم، ويميز الله الخبيث من الطيب، ويعلم الذين صدقوا، ويعلم الكاذبين، قال تعالى: (كل نفس ذائقة الموت، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون)^(١).

وقال تعالى: (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون* ولقد فتنا الذين من قبلهم، وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)^(٢).

فالمعاني يختبر في عافيته، والمبتلى يختبر في مصيبتيه، وكل يثبت على قدر إيمانه، فالسعيد من عرف الصواب، واجتاز الامتحان بنجاح.

يقول الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى -: "الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم البلاء صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه"^(٣).

٢- الابتلاء قسمة وقدر:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا)^(٤).

(١) سورة الأنبياء الآية: (٣٥).

(٢) سورة العنكبوت الآيات: (٣-١).

(٣) انظر: موقع جمعية البر بالرياض بتاريخ: ١٤/٥/١٤٢٦ هـ.

(٤) سورة الزخرف الآية: (٣٢).

فالأرزاق مقسومة، والآجال مقسومة، والصحة مقسومة، والمرض مقسوم، والسلامة مقسومة، والعطب مقسوم، والعافية مقسومة، والغنى مقسوم، والفقر مقسوم، وكل شيء عند الله مقدر، وفي كتاب معلوم، قال الله تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسر* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور)^(١).

فلا يملك الإنسان أن يغير ما قسمه الله له، ولكن عليه بالرضى والتسليم المطلق لقضاء الله وقدره، وليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن من رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط.

٣-الابتلاء خير ونعمة:

ليعلم المؤمن أن الابتلاء خير ونعمة، قال الله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^(٢).

وقال رسول الله (ﷺ): "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره لكله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن"^(٣).

وقال الشاعر:

قد ينعم لله بالبلوى وإن عظمت *** ويتلى الله بعض القوم بالنعم

(١) سورة الحديد الآيات: (٢٢-٢٣).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢١٦).

(٣) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

ويقول بعض السلف -رحمهم الله تعالى-: " إذا أصبت بمصيبة فصبرت كانت مصيبتك واحدة، وإذا لم تصبر أصيت بمصيتين: فقدان المحبوب، وفقدان الثواب"^(١).
وقال أحد الشعراء:

كن في كل الأمور معرضاً* وكل الأمور إلى القضا
وأبشر بخير عاجل* تنسى به ما قد مضى
فلربَّ أمر مسخط* لك في عواقبه الرضا
٤-الابتلاء يحط الذنوب:

يعد الابتلاء من الأمور التي يحط بها الله بها عن العبد الذنوب، قال رسول الله (ﷺ): " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم وحزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها"^(٢).
وقال (ﷺ): "ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله تعالى به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها"^(٣).
وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): " ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة"^(٤).
وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): " إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة"^(١).

(١) انظر: موقع جمعية البر بالرياض بتاريخ: ١٤/٠٥/١٤٢٦ هـ.

(٢) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

٥- الابتلاء یرفع الدرجات:

الابتلاء والصبر علیه یرفع قدر المرء ویزید له فی الدرجات والحسنات، قال الله تعالى: (إنما یوفی الصابرون أجرهم بغير حساب)^(٢). وقد جاء فی الحدیث القدسی أن الله تعالى یقول لملائکته إذا قبضوا روح ولد عبده: " قبضتم ثمرة فؤاده؟ فیقولون: نعم. فیقول: ماذا قال عبدي؟ فیقولون: حمدك واسترجع. فیقول: ابنوا لعبدي بیتا فی الجنة وسموه بیت الحمد"^(٣). وقال سبحانه فی الحدیث القدسی: " ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة"^(٤). وقال رسول الله (ﷺ): " ما من مسلم یشاک شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطیئة"^(٥). وقال الشاعر:

عطیته إذا أعطی سرور *** وإن أخذ الذي أعطی أثابا
فأی النعمتین أعمُّ فضلا *** وأحمد فی عواقبها إيابا
أنعمته التي أهدت سرورا *** أم الأخرى التي أهدت ثوابا
بل الأخرى وإن نزلت بکره *** أحق بشکر من صبر احتسابا

٦- الابتلاء حب ورحمة:

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة الزمر الآية: (١٠).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

إن المصائب والبلايا كما تكون امتحان للعبد واختبار له، فهي أيضا علامة حب ورحمة من الله له، فقد قال رسول الله (ﷺ): " إن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم"^(١).

قال ابن القيم -رحمه الله-: "إن ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج من الأدوية التي لو بقيت فيه لأهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدوية، ويستعد به إل تمام الأجر وعلو المنزلة..."^(٢).

٧-الابتلاء يحقق عبودية لعبد لربه عز وجل:

كثير من الناس عبد لهواه، فإن أصابته ضراء لجأ إلى ربه، فإذا كسف عنه الضر مر كأن لم يمسه الضر ونسي ما لربه عز وجل من فضل ونعمه، قال تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا الآخرة ذلك هو الخسران المبين)^(٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: عدة الصابرين لابن القيم.

(٣) سورة الحج الآية: (١١).

الابتلاء طروس وخبير

الابتلاء مليء بالدروس والعبر، التي يعتبر بها الإنسان، فلا يأسى على ما فاتته، ولا يفرح بما أتاه، ولا يغتر بما بين يديه، ومن هذه الدروس ما يلي:

أ- الابتلاء يذكر المرء بعيوب نفسه:

الابتلاء يذكر المرء بعيوب نفسه، ويكشف له عن تقصيره في حق ربه، قال تعالى: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ^(١)، وقال: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ^(٢).

فعندما يصاب الإنسان بمكروه يخلو بنفسه، ويتدبر عاقبه أمر ويكشف عن أوجه التقصير لديه، وما وقع فيه من خطأ.

ب- الابتلاء يدفع المبتلي إلى المسارعة بالتوبة:

الابتلاء يدفع المبتلي إلى المسارعة بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى والندم على ما قصر في حقه، وهو من خير الدروس المستفادة من الابتلاء، قال الله تعالى: (ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) ^(٣).

ج- الابتلاء يكشف حقيقة الحياة الدنيا وزيفها:

الابتلاء يكشف زيف الحياة الدنيا، وأنها لا تستحق ما يبذله المرء من عناء من أجل الحصول عليها، وأنه لا تزن عند الله جناح بعوضة، فالكيس من

(١) سورة النساء الآية: (٧٩).

(٢) سورة الشورى الآية: (٣٠).

(٣) سورة السجدة الآية: (٢١).

دان نفسه وعمل لما بعد الموت، قال تعالى: (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) ^(١).

د- الابتلاء يذكر الإنسان بنعم الله عليه:

الابتلاء من أهم الأمور التي تذكر العبد بنعمة ربه عليه، وإحسانه له، فمن رأى مبتلى حمد الله على العافية، ومن ابتلى تذكر نعمة ربه عليه، قال رسول الله (ﷺ): "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" ^(٢).
ولله دره القائل " الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى".

هـ - الابتلاء يعلم الإنسان الصبر في السراء والضراء:

الابتلاء من خير الدروس التي يتعلم المرء منها الصبر، فهناك كثير من أنواع الابتلاء لا يملك الإنسان معها إلا الصبر، فمن صبر ورضي كان له الرضى، ومن جزع وسخط كان له السخط.

ز- الابتلاء ينقي النفس ويخلصها من أدرانها:

الابتلاء ينقي النفس ويخلصها من أدرانها، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

"فلولا أنه سبحانه وتعالى يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا ولبغوا وعتوا، والله تعالى إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواءه من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدوية المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه" ^(٣).

ح- الابتلاء يشوق المرء إلى الجنة:

(١) سورة العنكبوت الآية: (٦٤).

(٢) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم ج ٤/١٩٥.

الابتلاء من أهم الأسباب التي تشوق المرء إلى الجنة وما فيها من نعيم مقيم، ليرتاح مما فيه من عناء ومشقة، فتترك نفسه إليها ويتحجب إلى الله تعالى ويكثر من الأعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة بإذن الله تعالى ورحمته. فالمبتلى يعيش في نكد وضيق وهم، ولا تمنأ له الحياة، فتتوق نفسه إلى الجنة، وما فيها من خيرات، بل إنه قد يستعذب ما فيه من محنة ويستسهلها ويصبر عليها شوقاً إلى الجنة ونعيمها، وطلباً للأجر والثواب من الله تعالى عليها.

ط- الابتلاء تمكين للمؤمن وعقوبة للكافر:

من الدروس المستفادة من الابتلاء أن الابتلاء عقوبة للكافر وتمكين للمؤمن، ليرث الأرض بإذن الله تعالى.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: "التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكن".

ي- الابتلاء يكشف معادن الناس:

الابتلاء من خير الأمور التي يكشف بها عن معادن الناس، قال الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى-:

"الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم البلاء صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه"^(١).

وقال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير ** وإن كانت تغصني بريقي
وما شكري لها إلا لأني ** عرفت بها عدوي من صديقي

(١) انظر: موقع جمعية البر بالرياض بتاريخ: ١٤/٠٥/١٤٢٦هـ.

الأسباب المهيبة على رفع البلاء

هناك مجموعة من الأسباب تعين في رفع البلاء، وتخفيف آثاره، وتساعد في الصبر عليه، نذكر منها ما يلي:

١- الذكر والاستغفار:

ذكر الله تعالى والتوبة إليه والاستغفار من أهم الأمور التي تساعد في رفع البلاء، فقد أوصى نوح عليه السلام قومه بملازمة الاستغفار، وبين لهم فوائده فقال: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا* يرسل السماء عليكم مدرارا* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)^(١).

وكشف الله عن يونس عليه السلام الضر في بطن الحوت لما كان من المسبحين، قال تعالى: (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)^(٢).

٢- التقوى:

تقوى الله تعالى ومراقبته وخشيته في السر والعلن، من خير الأمور التي يكشف الله بها البلاء، وينجي صاحبها من الهم والغم والحزن، فبها نجي الله تعالى يوسف الصديق عليه السلام من كيد امرأة العزيز، والنسوة اللاتي كن معها، ونجي خليله إبراهيم عليه السلام من النار، وجعلها بردا وسلاما عليه، وبها نجي الله تعالى موسى كليم الله عليه السلام من كيد فرعون وآله، وبها نجي الله الحبيب محمد (ﷺ) من كافر قريش في الغار، قال الله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له

(١) سورة نوح الآيات: (١٠-١٢).

(٢) سورة الصافات الآيات: (٤٣-٤٤).

مخرجاً، ويزرقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدراً^(١).
وقال: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً)^(٢)، وقال: (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً)^(٣).

٣-الدعاء:

من الأمور التي تساعد في رفع البلاء وتخفيفه الدعاء وخاصة الدعاء بصالح الأعمال، وقصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار في الجبل، ووقعت صخرة فسدت عليهم الباب، ثم رفع الله عنهم البلاء وفرج كربهم ونجاهم بالدعاء من الأمثلة الدالة على ذلك.

ومنه أيضاً قصة قوم يونس عليه السلام لما استيقنوا بوقوع العذاب بهم جأروا جميعاً إلى الله تعالى ودعوا أن يكشف عنهم العذاب فاستجاب الله لهم وعفا عنهم، وقال رسول الله (ﷺ): "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر"^(٤).

يقول ابن القيم: "الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وله مع البلاء ثلاث مقامات:
أحدهما: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

(١) سورة الطلاق الآيات: (٢-٣).

(٢) سورة الطلاق الآية: (٤).

(٣) سورة الطلاق الآية: (٥).

(٤) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه^(١).

٤- العمل الصالح:

ومن الأمور التي يرفع الله بها البلاء أعمال البر، فقد قال رسول الله ﷺ: "صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء"^(٢)، وقال أيضا: "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة"^(٣).

(١) انظر: الجواب الكافي لابن القيم.

(٢) موسوعة الحديث النبوي الشريف.

(٣) المرجع السابق.

وقفات مع أهله الابتلاء

الدنيا لا تخلو من الابتلاء، ولا يسلم منه بشر، حتى الأنبياء وهم من خير البشر، وأحسنهم عبادة وخلقاً كانوا أشد الناس ابتلاءً، والحديث عن أنواع الابتلاء التي تعرض لها أنبياء الله طويل، وقد ذكر لنا القرآن الكريم أمثلة لهذا الابتلاء نذكر بعضها تسلياً وذكرى لأهل المصائب والبلاء، وتذكيراً لهم أن الدنيا لا تخلو من المنغصات والأكدار، ومن هذه النماذج ما يلي:

—نوح عليه السلام:

ابتلي نوح عليه السلام في قومه الذين ظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فما آمن معه إلا قليل، وأمره ربه بأن يصنع الفلك ويحمل فيها من كل شيء زوجين، وكان كلما مر به ملاً من قومه سخروا منه ومن معه من المؤمنين، ولما فار التنور، وأذن الله بهلاكهم، وابتلي في ولده وزوجته عندما رفضا أن يركبا معه في الفلك، فأغرقهم الله تعالى مع من أغرق.

—إبراهيم عليه السلام:

ابتلي إبراهيم عليه السلام في قومه، فكادوا له وحاولوا حرقه بنار شديدة، ولكن الله نجاه منهم، وابتلي في زوجه عندما هاجر من أرض كنعان إلى مصر، وابتلي بالعم لسنوات طويلة، وابتلي بترك ولده الرضيع وزوجته بأرض لا زرع فيها ولا ماء، وابتلي بذبح ولده الذي طال انتظاره له.

-يوسف عليه السلام:

ابتلي في إخوته عندما كادوا له وألقوه في غيابة الحب، وابتلي عندما بيع بثمن بخس، وذاق مرارة الأسر، وابتلي عندما كادت له امرأة العزيز، وابتلي عندما دخل السجن، وابتلي عندما مكن الله له في الأرض، واستوزره الملك.

-أيوب عليه السلام:

ابتلي في بدنه عندما أصيب بالمرض، وابتلي في ماله عندما فقد كل ماله، وابتلي في ولده عندما توفي جميع ولده، وابتلي في أهله عندما هجره الناس جميعا إلا زوجته.

-موسى عليه السلام:

ابتلي بفرعون عندما أراد ذبحه وهو ما زال في المهد صبيا، وابتلي بالسحرة حين جمعهم فرعون لمواجهته، وابتلي عندما خرج من مصر خائفا يتربص، وابتلي ببني إسرائيل ابتلاءات كثيرة يضيق المقام عن استقصائها.

-عيسى عليه السلام:

ابتلي في أمه البتول الطاهرة عندما اتهمها قومها بالباطل، وابتلي في قومه عندما كذبوه وعصوه، وابتلي من بني إسرائيل عندما كادوا له وآذوه، وأرادوا صلبه ونجاه الله منهم.

-محمد (ﷺ):

ابتلي (ﷺ) بجميع أنواع الابتلاءات، فقد ابتلي في قومه عندما آذوه وكذبوه، واتهموه بالسحر والجنون والشعر، وابتلي عندما حاصروه وضيّقوا عليه وعلى أصحابه، وابتلي حين أرادوا قتله، وحين خرج مهاجرا من مكة أحب بلاد الله إلى قلبه، وابتلي في فقد أحب الناس إليه، أبيه وأمّه، وجدّه، وعمه، وزوجته، وأبناءه وبناته، وابتلي في أهله عندما اتهمت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في حادثة الإفك فبرأها الله تعالى، وابتلي حين كاد له اليهود والمنافقون في المدينة، وابتلي

حين حاصر الأحزاب المدينة... والأمثلة على الابتلاءات التي تعرض لها أنبياء الله تعالى كثيرة.

ويخلد لنا القرآن الكريم بعض القصص عن أصحاب الابتلاءات لتكون لنا عبرة وعظة، منها قصص أهل الإيمان الذين ابتلوا في دينهم ومنهم: أصحاب الأخدود، وأهل الكهف، ومؤمن آل يس، وامرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وأصحاب الجنة، وغير ذلك كثير.

كما ذكر لنا قصص بعض المبتلين من الكفار والمعاندين الذين جحدوا نعمة الله ولم يودوا شكرها فحاق بهم العذاب وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، ومنهم فرعون الذي استعبد الناس، وقال لهم أنا ربكم الأعلى، وهامان الذي طغى وتجبر، وقارون الذي أعطاه الله من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء العصابة أولو القوة عن حملها، وامرأة نوح وامرأة لوط فلم يغنيا عنهما من الله شيئا لما عصيا كونهما زوجتا نبيين من أنبياء الله.

الفتاة

عرضنا فيما سبق للصبر وأنواعه، وما يعين عليه من أمور، كما عرضنا نماذج للصابرين من الأنبياء والصالحين، وتحدثنا عن الابتلاء وأسبابه، وأنواعه والفوائد المستفادة منه، ما فيه من دروس وعبر.

وعرضنا لبعض نماذج من الابتلاءات التي تعرض لها خير الخلق وصفوة البشر من الأنبياء، فصبروا على ما أذوا ولم يجزعوا ولم يهلعوا وإنما صبروا وشكروا وثبتوا ورضوا بقضاء الله وقدره، فكان عاقبتهم الفوز في الدنيا والآخرة. ونحن في نهاية حديثنا عن الصبر والصابرين، والابتلاء والمبتلين نرجو من الله تعالى أن يكون في عملنا هذا تسليه لأهل المصاب وتذكيرا لهم بعظم الأجر والثواب، فقد قال الله تعالى لنبيه (ﷺ): (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)^(١).

كما نذكرهم بأن الدنيا لا يهنأ بها أحد، ولا يستقر لها حال، وأنها لو دامت لمن قبلنا ما وصلت إلينا، والله دره الإمام الشافعي حين قال:
 دع الأيام تفعل ما تشاء *** وطب نفسا إذا حكم القضاء
 ولا تجزع لحادثة الليالي *** فما لحواث الدنيا بقاء
 وكن رجلا على الأهوال جلدا *** وشيمتك السماحة والوفاء
 وإذا كان هذا هو حال الدنيا وفعلها بأهلها، فلم الجزع؟ ولم السخط؟
 ونحن نعلم أن ساعات العمر معدودة، وأيامه محدودة، ومن طال أمله ساء عمله، وليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى فيجزاه الجزاء الأوفى، فمن عمل مثال ذرة خيرا يره ومن عمل مثال ذرة شرا يره، والكيس من دان نفسه

(١) سورة الآية: (.)

وعمل لما بعد الموت، واستعد للرحيل قبل الرحيل، فالسفر طويل، والزاد قليل، وليس بعد الموت من مستعجب.

فيا أيها المبتلى اصبر صبراً جميلاً، وانظر إلى ألطاف الله بك ونعمه عليك، فكم من نعمة له عليك، وكم من إحسان له بك، واعلم أن الصابرين يوفون أجورهم بغير حساب، وأن الصبر على الدنيا ومرها أهون بكثير من الصبر على عذاب الله في الآخرة.

واعلم أيضاً أن ما أصابك إنما هو بتقدير الله وقدره، وبإذنه ومشيئته، وأن ما أصابك الذي أصابك إلا بذنب ارتكبته أو خطأ وقعت فيه، أو امتحان من الله تعالى ليختبر صدق إيمانك، ويؤهلك إلى مكانة أرفع ومنزلة أعلى في الدنيا والآخرة.

وفي الختام نرجو من الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، ويجعله في ميزان حسناتنا يوم الحساب، وأن يعفوا عما وقعنا فيه من هفوات، ويغفر عما به من زلات، ويبلغنا به أسمى المراتب والدرجات، إنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والصلاة والسلام على خير نبي وأكرم هاد سيدنا محمد بن عبد الله الرحمة المهداة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

المراجع

- القرآن الكريم.
- موسوعة الحديث النبوي الشريف.
- كتاب الجواب الكافي لابن القيم.
- كتاب حياة الصحابة للكاندهلوي.
- كتاب الرحيق المختوم للمباركافوري.
- كتاب رجال حول الرسول للكاتب خالد مُحمَّد خالد.
- كتاب زاد المعاد لابن القيم.
- كتاب عدة الصابرين لابن القيم.
- كتاب شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين.
- كتاب طريق المهجرتين لابن القيم.
- كتاب قاعدة في الصبر والشكر لابن تيمية.
- كتاب وبشر الصابرين للشيخ خالد الراشد.
- كتاب فضل الصبر للشيخ يحيى بن موسى الزهراني.
- موقع مندليات المشكاة الالكترونية بتاريخ: ١٤٢٦/٠٥/٢١ هـ.
- موقع منتديات الحصن النفسي الالكترونية بتاريخ: ١٤٢٦/٠٢/٢٩ هـ.
- موقع يا له من دين لو كان له رجال بتاريخ: ١٤٢٦/٠٦/١٨ هـ.
- موقع الصوت الإسلامي الالكترونية بتاريخ: ١٤٢٦/٠٤/١٢ هـ.
- موقع عالم بلا مشكلات الالكترونية بتاريخ: ١٤٢٦/٠٣/١١ هـ.
- موقع واحات الصحبة الصالحة بتاريخ: ١٤٢٦/٠٢/٢٨ هـ.
- موقع شبكة سحاب السلفية الالكترونية بتاريخ: ١٤٢٦/٠٤/٠٨ هـ.
- موقع جمعية البر بالرياض الالكترونية بتاريخ: ١٤٢٦/٠٥/١٤ هـ.

- موقع صید الفوائد الالکترونی بتاريخ: ١٤٢٦/١٠/٢٢ هـ.
- موقع منتدیات أسرة نت الالکترونی بتاريخ: ١٤٢٦/١١/٠٥ هـ.
- موقع ملتقى الحوار العربی الالکترونی بتاريخ: ٢٠٠٦/٠٥/٠١ م.
- موقع الساحة المفتوحة الالکترونی بتاريخ: ١٤٢٦/٠٧/٢٦ هـ.
- موقع عالم بلا مشكلات الالکترونی بتاريخ: ١٤٢٦/٠٧/٢٦ هـ.
- موقع المسلم الالکترونی بتاريخ: ١٤٢٦/١٠/١٧ هـ.
- موقع منتدیات نداء الإیمان الالکترونی بتاريخ: ١٤٢٦/٠٢/١٢ هـ.
- موقع شبكة نور الإسلام الالکترونی بتاريخ: ١٤٢٦/٠٥/١٤ هـ.
- موقع نبض الحياة الالکترونی بتاريخ: ١٤٢٦/٠٧/٢٧ هـ.